الاتجاه العِلماني المُعاصِر في عُلوم القرآن الكَريم

محمد عابد الجابِري .....أُنموذجاً

د. سامي عطا حسن

ملخص

القرآن كتاب الله الخالد الذي تكفل بحفظه في حروفه وكلماته، وسوره وآياته، وهو كتابه المعجز في نظمه وترتيبه، ومعانيه وأخباره، ولكن كثيراً من المستشرقين وتلاميذهم أرادوا التشكيك في هذه المسلَّمات، متدثرين بالمنهج العلمي ، وهم بعيدون كل البعد عنه، فألقوا شبهاتهم حول جمع القرآن وتدوينه، وترتيب سوره وآياته، ومنكرين لأمية الرسول – صلى الله عليه وسلم – ولوقوع النسخ في القرآن الكريم ، محاولين زعزعة الثقة به في نفوس المسلمين، فتصدى لهم علماء الاسلام ، وأفشلوا مخططاتهم . ولقد سلطت الأضواء في هذا البحث على موقف تلميذ من تلاميذ المستشرقين من ترتيب القرآن ، وغيرها من الشبهات ، عارضا بعض شبهاته ، ومتعقبا لها بالرد والتفنيد ، سائلا المولى –سبحانه – التسديد والتوفيق .

Secular trend in contemporary ulum Qur'an

al- Jabri un example

Dr. SAMI ATA HASSAN

Al-ALBAYT University

Al-MAFRAQ – THE HASHEMTE KINGDOM OF JORDAN

Abstract

The Holy Book of Allah al- Qur'an is protected by Allah, its letters and words and sura.

al Qur'an is the book of miraculous in its systems and its rank, significance, , but many of the Orientalists and their students wanted to question these things covering their intentions in scientific method , but they are far away from it , and they said many doubts about the compilation of the Qur'an wedge, and Deniers, the illiteracy of the Prophet and the occurrence of the al codification Qur'an and their aim is to shake the confidence of the MuslimsBut naskh in the the Muslim scholars responded to their plans and remove their doubt

In my article I have responded to one of their Orientalists student al- jabri and answer his doubt

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ثم أما بعد:

فالقرآن كتاب الله الخالد الذي تكفل بحفظه في حروفه وكلماته، وسوره وآياته، وهو كتابه المعجز في نظمه وترتيبه، ومعانيه وأخباره، ولكن كثيراً من المستشرقين وتلاميذهم أرادوا التشكيك في هذه المسلَّمات، متدثرين بالمنهج العلمي ، وهم بعيدون كل البعد عنه، فألقوا شبهاتهم حول جمع القرآن وتدوينه، وترتيب سوره وآياته، ومنكرين لأمية الرسول – صلى الله عليه وسلم – ولوقوع النسخ في القرآن الكريم ، محاولين زعزعة الثقة به في نفوس المسلمين، فتصدى لهم علماء الاسلام ، وأفشلوا مخططاتهم ولقد سلطت الأضواء في هذا البحث على موقف تلميذ من تلاميذ المستشرقين من ترتيب القرآن ، وغيرها من الشبهات ، عارضا بعض شبهاته ، ومتعقبا لها بالرد والتفنيد **وقد شهدت الساحة الثقافية جدلاً كبيراً حول ما يسمى بـ " القراءات الجديدة للقرآن الكريم " ، متدثرة بالمناهج الحَداثية والعَلمانية** (١) ومتلفعة بالمقاصد والمصالح (٢)وغيرها، لخلخلة ما اتفق عليه علماء

المسلمين ، ونزع القداسة عن القرآن الكريم ، والتشكيك في تواتره ؛ وتحريف المعاني القرآنية ، مع تناقض هذه المناهج وتعارضها مع مقاصد الشريعة الإسلامية، ومردُّ ذلك لعدم احترامها لخصوصيات القرآن الكريم ، ودعوتها إلى (عقلنة) النص القرآني، واعتبار كل ما يعارض العقل شواهد تاريخية، ونزع القداسة عن القرآن الكريم ، وربط الآيات القرآنية بالظروف والسياقات الزمنية، بما يعني أن القرآن الكريم ليس إلا **نصّاً تاريخيّاً**. ([٣])

والواقع أن القراءات الحداثية والعلمانية للقرآن الكريم ، ما هي إلا امتداد للدراسات الاستشراقية التي يمثلها " **نولدكه وتلاميذه من بعده** " في دراسته عن تاريخ القرآن الكريم؛ حيث انتهى إلى أن نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – ما هي إلا امتداد لنبوات العهد القديم، وأن القرآن الكريم مأخوذ عن المأثورات اليهودية والمسيحية، وهذه الدراسات تُخفي وراءها مواقف استعمارية من جهة، وآيديولوجية من جهة أخرى. فَتَلَقَّفَ بعض الحداثيين والعلمانيين أمثال : **محمد أركون، ونصر حامد أبو زيد ، وعبد المجيد الشرفي، وحسن حنفي، ومحمد شحرور ، والطيب تيزيني ، ومحمد عابد الجابري**، وغيرهم ، هذه الآراء واعتبروها من إبداعاتهم ، وما هي في حقيقتها إلا استنساخ لآراء المستشرقين ، وترويج لأضاليلهم ، وقد قتلها علماؤنا بحثاً ، وبينوا وجه الحق لمن يريده ويطلبه ، وما اشتملت عليه من إفكٍ وضلال..

وأغلب من ذكرنا ليسوا من المتخصصين في الدراسات الشرعية بالمعنى

الدقيق لكلمة التخصص، فهم في العموم متخصصون في الفلسفة ، والأدب العربي ، وقد جوَّزوا لأنفسهم أن يتكلموا في علمٍ له رجالُه الذين يحذقون قواعده وضوابطه، ويُتقنون أصوله ومبادئه، وإنما تسَوَّر هؤلاء على هذا الباب، بدعوى فتح مجالات الاجتهاد والتجديد، لإخراج الشعب العربي من التخلف إلى التقدم، ومن التبعية المطلقة لسلطة النقل ، إلى الاحتكام إلى مقولات العقل!!!

والدكتور محمد عابد الجابري – محور بحثنا – كاتب مغربي ، ولد عام ١٩٣٦م في قرية " **فكيك** " المغربية على الحدود الجزائرية ، ودرس بها ، ثم غادرها إلى " الدار البيضاء" حيث انخرط في خلايا العمل الوطني في بداية الخمسينات، وفي عام ١٩٥٨م انتقل إلى دمشق للحصول على الإجازة في الفلسفة. **ولم يُفلح** ، فعاد للمغرب لينتسب إلى الجامعة المغربية ، وفيها أكمل مشواره الأكاديمي، وفي ١٩٦٤م حصل على " الليسانس" في الفلسفة ، ثم حصل على دبلوم الدراسات العليا في الفلسفة عام ١٩٦٧، وعلى دكتوراه الدولة في الفلسفة عام ١٩٧٠م من كلية الآداب بالرباط، التي عمل فيها أستاذاً للفلسفة والفكر العربي الإسلامي ، له العديد من الكتب من أشهرها: (نحن والتراث) و(نقد العقل العربي) وقد صدر في أجزاء ثلاثة هي (تكوين العقل العربي) و(بنية العقل العربي) و(العقل السياسي العربي) و(الخطاب العربي المعاصر) وغيرها.

والجابري ماركسيٌّ في الأصل ، وكان قياديا في الاتحاد الاشتراكي ، ثم ترك العمل الحزبي وتفرغ للدراسة والتدريس ، وقد شارك في العديد من المؤتمرات العلمية والثقافية ، وله مشاركات في الصحف والمجلات. كما أصدر الجابري مجلة (نقد وفكر)، الشهرية. إلى أن توفي يوم٣ مايو– أيار ، عام٢٠١٠م ..

والجابري كذلك من عُتاة العَلمانيين وأشدهم خُبثاً ([٤]) فهو بارع في التمويه ، بل له مهارة خاصة في الخداع والتلبيس.. لذا فهو لا يستعمل أبدا مصطلح العَلمانية في كتبه وأبحاثه، بل يرفض استعمال هذا المصطلح، في حين يناضل بكل قوته من أجل تثبيت مفهومه في الفكر العربي ، وما يستتبع هذا التثبيت من محاربة للدين والتدين بمفهومهما الأصيل، وإحلال دين وتدين يتماشى مع مفهوم العلمانية، التي يستعيض عن مصطلحها بمصطلحات من قبيل العقلانية ، والديمقراطية.. لأن المجتمع عنده لم يستكمل عملية التهيئة اللازمة لقبول مثل هذا النوع من المصطلحات..

يقول الجابري:" لا أرى أن الوطن العربي في وضعيته الراهنة يتحمل ما يمكن أن نُعبِّر عنه بنقد لاهوتي ، لنا حرمات يجب أن نحترمها حتى تتطور الأمور..؟!

وقال : يجب ألا نيأس وألا نقنط ، لأن المرحلة مرحلة قرن أو قرنين ...!! وانتقدَ من يرى أن من الواجبِ مهاجمة اللاعقلانية..؟؟ في عقر دارها ،

واعتبر هذا خطأً، لأن مهاجمة الفكر اللاّعقلاني في مُسَلَّماته؛ في فروضه؛ في عقر داره، يسفر في غالب الأحيان عن: إيقاظٍ وتنبيهٍ ورد فعلٍ، وبالتالي تعميم الحوار بين العقل والـ (الاّعَقْلْ) ، والسيادة في النهاية ستكون خاضعةً لـ (اللاّعقل) ، لأن الأرضية أرضيته، والميدان ميدانه، والمسألة مسألة تخطيط ."(٥)

مما حدا **بالعلماني الماركسي النصراني جورج طرابيشي** إلى القول : " بأن الجابري تصدى للعقل الاسلامي في شبه حصان طروادة " (٦) فالجابري يتستَّرَ ويتخفى في مشروعه الأخير عن القرآن ، كأنه مستشرق متخفٍ في ثياب عربي!

وقد خرج علينا الجابري بدراسات قرآنية كلها وساوس وشبهات ، وفرح بكتاباته العلمانيون والحداثيون الذين يُكِنُّون العداء للإسلام.. وكان ما كتبه الجابري عن القرآن الكريم، من آخر ما أَلَّفه ، واشتمل على أربعة كتب، صدرت عن مركز دراسات الوحدة العربية .....

الأول منها تحت عنوان : **(مدخل إلى القرآن الكريم: الجزء الأول في التعريف بالقرآن)**، وهو ذات العنوان الذي سبق واتخذه المستشرق الفرنسي" **بلاشير** " لكتابه عن القرآن ، وكان تحت عنوان : " **مدخل إلى القرآن** " ؟!

والثلاثة الأخرى أسماها **(فهم القرآن الحكيم: التفسير الواضح حسب ترتيب النزول)؛ وفي الفصلين الأوليين من الكتاب الأول: "مدخل إلى القرآن**

الكريم: الجزء الأول في التعريف بالقرآن الكريم" : تحدث الجابري عن الأوضاع التي كانت موجودة لحظة نزول الوحي على الرسول – صلى الله عليه وسلم –، وأشار إلى انتشار التوحيد في مختلف المناطق المحيطة بالجزيرة العربية: مصر، وبلاد الشام، والعراق، وغيرها، كما أشار إلى عدة فرق انشقت عن المسيحية واعتبرت المسيح – عليه السلام – إنساناً وليس إلهاً كما ادَّعت المسيحية الرسمية، كفرقة (الأبيونية) ([٧]) **، ورجَّح الجابري** أن تكون هي الفرقة التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله – تعالى – :(لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ) (المائدة: ٢٨) ([٨])

ثم أشار الجابري إلى فرقة أخرى ثارت على التثليث وهي (الآريوسية) ،نسبة إلى آريوس المولود عام ٢٧٠م، وأعلن ثورته على القول بألوهية المسيح عام ٣٢٣م، مؤكداً بشريته، مقرراً أن الأب وحدَه هو الإله، ومن هنا وصف أتباعه بالموحدين ([٩]) **ثم تحدث عن ظاهرتين:**

الأولى: تبشير بعض الرهبان كالراهب بحيرى في بُصرى الشام ، وحديث أحبار يهود عن قرب ظهور نبي جديد وتفاخرهم بأنه سيكون من بني إسرائيل.

والثانية: عن رحلة الباحثين عن الدين الحق، أمثال : سلمان الفارسي – رضي الله عنه – .. والحنفاء من قريش ([١٠]) ، واستشف الجابري من

رسالتي الرسول – صلى الله عليه وسلم – لهرقل إمبراطور الدولة الرومانية، وللمقوقس حاكم مصر، أن هناك طائفة مُوَحِّدَة في مملكتيهما وهم :
(الأريسيون)، أتباع (آريوس) الذي دعا إلى لتوحيد ورفض التثليث الذي أقره مجمع نيقية ([١١]) ، مع أن معظم المفسرين الذين فسروا هذه العبارة مالوا إلى تفسيرها بكلمة (الفلاحين) أو (الأكارين)...([١٢]) ليصل إلى النتيجة التالية وهي : أن التوحيد الذي جاء به الرسول – صلى الله عليه وسلم – هو انعكاس ومرآة للتوحيد الذي كانت تعج به الجزيرة العربية وما حولها، وهو ليس جديداً كما يتوهم الدارسون، وقد انضمت كل هذه الفئات والطوائف إلى الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – عندما دعا إلى التوحيد؛ لأنها وجدت عنده ما كانت متمسكة به.. وهذا الكلام امتداد لكلام " طه حسين " في مطلع القرن العشرين في كتابه: : " في الشعر الجاهلي " المأخوذ من قول " المستشرق جيب" في كتابه : " المذهب المحمدي" بأن القرآن الكريم هو انعكاس لبيئة الجزيرة العربية في عقل محمد – صلى الله عليه وسلم – ، والفرق بين كلام الجابري وبين كلام طه حسين والمستشرق جِبٌّ في الكَمّ، فقد تحدث الجابري عن قضية واحدة هي قضية (التوحيد) في القرآن الكريم، لكن " طه حسين وجِيبْ " تحدثا عن القرآن الكريم كله.
وهذا التصوير الذي تكلف الجابري في بلورته عن المنطقة، ليس صحيحاً ولا سليماً، بل هناك أدلة تدل على خطئه في هذا التصوير ، منها :
الدليل الأول : يناقض تصوير الجابري لحال البشرية غداة بعثة

الرسول – صلى الله عليه وسلم – تصوير الرسول – صلى الله عليه وسلم – لتلك الحال؛ حيث ورد في عدة أحاديث منها ما حدثنا به عياض المجاشعي أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال ذات يوم في خطبته: "... إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب.. الحديث " ([١٣]) ، وهذا الحديث يبين فيه الرسول – صلى الله عليه وسلم – حال البشرية غداة بعثته، ويبين فيه أن الله نظر إلى أهل الأرض غداة بعثته فمقتهم ، لأنهم انحرفوا عن جادة الصواب في معرفته وعبادته – سبحانه وتعالى – ، والمقت أشد الغضب، ولا شك أن تصوير الرسول الذي لا ينطق عن الهوى أشد دقة من كلام الجابري وغيره في تصوير حال أهل الأرض غداة بعثته – صلى الله عليه وسلم –

الدليل الثاني: لو كان الوضع كما صوره الجابري؛ وهو أن التوحيد بخير، وأن الموحدين يعج بهم المكان والزمان، لَمَا كانت هناك حاجة إلى إرسال رسول، فقد بيَّن المفسرون في أكثر من موضع من تفسير القرآن الكريم وتاريخ الأنبياء، أن الله كان يبعث رسولاً ، وينزل كتاباً عندما يعم الكفر، ويستشري الضلال، ويتعمق الشرك ، فيبعث الله رسولاً لكي يعم النور والهدى، وهذا من رحمته – تعالى – بعباده.. ومن المعلوم أن الله بعث عيسى – عليه السلام – عندما استحكم الضلال في بني إسرائيل، وهو ما ينطبق على الظروف التي أحاطت بابتعاث الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم –، فقد بعثه الله عندما استحكم الكفر والشرك والضلال في الأرض. ([١٤]) . لقد اعتمد

الجابري منهج التشكيك في المسلَّمات التي أجمع عليها الباحثون في الدراسات الإسلامية عموما ، حول أمور في العقيدة ، والشريعة ، والسيرة ، والسياسة... **وقد جاء كثير منها في منتهى الخطورة ، مثل** قوله : إن (حد الزنا) كان من الممكن تطبيقه في مجتمع البادية .؟!

أما المجتمع الجديد فلا يمكن تطبيقه كما اشترط الفقهاء (١٥) ..؟!! وعقوبات مثل القطع والرجم كانت سارية المفعول في ذلك العصر التاريخي ، فلا توجد سجون ، ولا جدران ، وإنما خيام ، فكيف يُسجن السارق... ؟ وكيف تُحفظ الأموال ....؟ لا بد من عقوبة تميز السارق ، وتجعل الناس يحذرون منه..

أما اليوم فقد تغير الحال..؟؟!! . وما دام القرآن يوضح لنا نسبية التشريع في علاقته مع بيئته التاريخية الحاملة له بقوله : (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً **وَمِنْهَاجًا**)(المائدة : ٤٨) **فإن الثابت إذن هو: مبدأ العقوبة أو الجزاء** ، أما الأشكال التطبيقية لهذا المبدأ ، **فموكولة إلى كل عصر حسب أوضاعه ، وأعرافه ، وقِيَمه** ، وبهذا يستوعب القرآن متغيرات العصور ، ويبقى كما أراد الله صالحاً لكل زمان ومكان. **كما أن تطبيق حَدَّ الرجم** ، يبدو أنه من خصوصيات **الرسول– صلى الله عليه وسلم** – (١٦) ....

ولا شك فهذه الدعوى ساقطة من أساسها؛ لأن إجماع العلماء بأنه " **لا اجتهاد مع النص** " معروفٌ ، ولا خلاف حوله، وتبقى الملابسات والظروف والتحديد العقلي، وهذا ما يقرره أهل الذكر من العلماء – والجابري بكل تأكيد

ليس منهم في هذه المسألة – والإسلام دين شامل لكل زمانٍ ومكان ، وتعاليمه السماوية لم تكن مؤقتة كما يزعم هؤلاء بلا علم ...

بل يرى الجابري إسقاط الحَدّ في جرائم السرقة ، والزنا ، وشرب الخمر ، والقذف، والاكتفاء فيها بالسجن، لأن الحدود في نظره ليست غايةً في ذاتها ، وإنما هي وسيلة لردع وزجر النوازع الذاتية الفردية الهدامة، أي التي تمس مصلحة الجماعة أو الأمة.

ويستدل الجابري على إسقاط الحدود بحديث : " **ادرأوا الحدود بالشبهات** " ([١٧]) مدعياً أن شبهات عصرنا كثيرة ومتفرعة ، بسبب تعقد الحياة المعاصرة وتنوع الحوافز فيها، بالإضافة إلى وجود الشبهات الراجعة إلى السياسة ، التي تجعل تنفيذ الحدود يلتبس بالأغراض والدوافع السياسية، وتلك –كما يقول– شبهة وأية شبهة ([١٨]) ..

هذا هو أسلوب الجابري، أسلوب التشكيك ، **متدثراً بقالب البحث العلمي، ومتلفعا بالعبارات الموهمة...!!**

وقد وقفتُ عند كتاب الجابري " مدخل إلى القرآن الكريم .." وبعض مقالاته المنشورة في موقعه ، فوجدتها بعد قراءتها : كُلُّها أخطاء ..بل خطايا .. تنم عن جهل فاضحٍ حيناً ، وأخطاء مقصودة حيناً آخر ..!

ومعظم العَلمانيين والحَداثيين الخائضين في الدراسات الشرعية ليسوا من المتخصصين فيها بالمعنى الدقيق لكلمة التخصص، فهم في العموم

متخصصون في الفلسفة ، أو الأدب العربي ، وقد جوَّزوا لأنفسهم أن يتكلموا في علمٍ لا يحذقون قواعده وضوابطه، ولا يُتقنون أصوله ومبادئه.. !!!

وهذا يتفق مع ما قاله د. عبد الرحمن بدوي عن مُلهِميهم حيث يقول : (إن سبب التردي الذي وقع فيه المستشرقون وتلاميذهم : هو الجهل وضحالة الفهم ، ونقص المعلومات ، وسوء النية ، والتشويه المتعمد ، وسيطرة الحقد عليهم ، وتسببه في عماء بصيرتهم ، ونقلهم الأكاذيب بعضهم عن بعض ، وتأكيدهم لها ،...إلى أن يقول : لكننا في نفس الوقت نؤكد أن القرآن يخرج دائماً منتصراً على منتقديه) ([١٩])

فاجتهدت في تسليط أشعة النقد عليها ، والرد على فكره الملوّث ، وكشف تناقضاته الفجّة؛ والرد عليها يقتضي عدة أبحاث بل كتب ، ولكن ما لا يُدرك كُلُّه لا يُترك جُلُّه ، فكان هذا البحث لتفنيد بعض أباطيله وأسماره ..

ترتيب آيات القرآن وسوره ، بين علماء الإسلام ، والمستشرقين وتابعيهم :

ترتيب الآيات في سورها توقيفي ثابت بالوحي ، وبأمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، وكانت الآيات تتنزل عليه ، ويأمر كتاب الوحي بوضعها في مكانها من السور بتبليغ من جبريل –عليه السلام – . وقد ترادفت النصوص على كون ترتيب الآيات توقيفياً ، ووقع الإجماع على ذلك ، وقد نقل الإجماع غير واحد من العلماء منهم : الزركشي ، حيث قال : – " فأما الآيات في

كل سورة ، ووضع البسملة في أوائلها ، فترتيبها توقيفي بلا شك ، ولا خلاف فيه ، ولهذا لا يجوز تعكيسها .." (٢٠) .

ومن النصوص التي تدل على أن ترتيب الآيات توقيفي : -

١- روى البخاري أن ابن الزبير قال : " قلت لعثمان بن عفان : (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا.....) (البقرة : ٢٣٤) قال : قد نسختها الآية الأخرى فلم تكتبها أو تدعها ..؟ قال : يا ابن أخي لا أغير شيئا من مكانه " يعني :لم تكتبها وقد علمت أنها منسوخة ، أو قال :تدعها مكتوبة ، شك من الراوي أي اللفظين قال ، ثم نقل رواية أخرى عن الإسماعيلي بصيغة : لِمَ تكتبها وقد نسختها الآية الأخرى ..؟ " (٢١) ..وفي جواب عثمان هذا دليل على أن ترتيب الآي توقيفي ، وكان عبد الله بن الزبير ظن أن الذي ينسخ حكمه لا يكتب ، فأجابه عثمان بأن ذلك ليس بلازم ، والمُتَّبَعُ فيه التوقيف ..)(٢٢) .

٢ - روى الترمذي ، والحاكم ، وابن حبان ، وأبو داود ، وأحمد من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما- قال : " كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه الشيء ، دعا بعض من كان يكتب فيقول : ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ." (٢٣) .

٣- قال الحافظ في الفتح : " لا خلاف أن ترتيب آيات كل سورة على ما هي عليه الآن في المصحف ، توقيف من الله تعالى .. " (٢٤)

والحاصل :" أن الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين – جمعوا القرآن كما هو عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من غير زيادة ولا نقص ، ولا تقديم ، ولا تأخير ، بتوقيف عن جبريل ، عن رب العزة سبحانه " (٢٥)

لماذا لم ترتب الآيات على حسب النزول ..؟

من المجمع عليه أن ترتيب الآيات ليس بحسب نزولها ، وإنما يرجع إلى المناسبات والروابط البلاغية ، فقد تنزل الآية بعد الآية بسنين ، وتكون في ترتيب الكتاب قبلها ، وليس أدل على ذلك من تقدم بعض الآيات الناسخة على الآيات المنسوخة ، مع أن الناسخ متأخر عن المنسوخ في النزول قطعا ..وذلك مثل قوله تعالى : " وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا " (البقرة: ٢٣٤) فإنها ناسخة لآية " وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ..... (البقرة: ٢٤٠) ، فالأولى متأخرة في النزول ، متقدمة في الترتيب كما أن بعض الأيات التي نزلت قبل الهجرة قد ألحقت بسور نزلت بعدها ، كقوله تعالى : – " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ " (الأنفال: ٦٤) فقد صح النقل بأنها نزلت عقب إسلام عمر ، وذلك بمكة قبل الهجرة (٢٦) ، ومع ذلك فقد ألحقت بسورة الأنفال التي نزلت بالمدينة بعد

الهجرة ، وهناك آيات نزلت بعد الهجرة وألحقت بسورة نزلت بعد الهجرة أيضا ، ولكنها وضعت في السورة التي ألحقت بها قبل آيات نزلت هي بعدها ، وذلك كقوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) (المائدة: ٣) فمن المعلوم أن هذه الآية نزلت في حجة الوداع ، وقد ألحقت بسورة المائدة التي نزلت بعد الهجرة ، في حين أن كثيراً من الآيات التي جاءت بعدها في السورة ، قد نزلت قبلها ، كما يعرف ذلك من الرجوع إلى أسباب نزول هذه الآيات .

وفي الأثر عن محمد بن سيرين قال : " قلت لعكرمة : ألفوه – أي القرآن – كما أنزل ، الأول فالأول ، قال : لو اجتمعت الأنس والجن على أن يؤلفوه هذا التأليف ما استطاعوا ، وصدق عكرمة ، فإن تأليفه على حسب النزول غير مستطاع لأحد من البشر ، لأن الله لم يرد أن يكون تأليف كتابه المعجز على حسب النزول ، وإنما اقتضت حكمته أن يكون على حسب المناسبات البلاغية ، وأسرار الاعجاز .." (٢٧)

ولعل تعليل فضيلة الشيخ محمد محمد المدني – رحمه الله – كان أقرب إلى الحكمة من قول غيره حين قال : – " لو أنه جمع على حسب ترتيب نزوله ، لفهم بعض الناس أن آياته خاصة بحوادثها ، أو أنه حُلول وقتية للمشكلات التي كانت على عهد الرسول فحسب(٢٨) ، والله تعالى يريد كتابه عاماً خالداً لا يختص بعصر دون عصر ، ولا بقومٍ دون قوم ، لذلك اقتضت

الحكمة أن يرتب ترتيباً يحقق هذا العموم ، وهذا الخلود ، ويبتعد عن الترتيب الزمني الذي نزل به لحكمة كانت مناسبة حين نزوله .." (٢٩).

ترتيب سور القرآن :

اختلف العلماء حول وضع السور وترتيبها في المصحف العثماني على أقوال ثلاثة ... وهي : -

القول الأول : إن ترتيب السور على ما هو عليه الآن في المصحف كان باجتهاد من الصحابة -رضوان الله عليهم - ، قال ابن فارس : " جمع القرآن على ضربين : أحدهما : تأليف السور كتقديم السبع الطوال ، وتعقيبها بالمئين ، فهذا الضرب الذي تولته الصحابة . وأما الجمع الآخر : فضم الآي بعضها إلى بعض، وتعقيب القصة بالقصة ، فذلك شيء تولاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أمر ربه - عز وجل - " ٣٠ .

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي : -

١- بحديث رواه أحمد ، والنسائي ، ومسلم ، عن حذيفة قال : " صليت مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم - ذات ليلة ، فافتتح البقرة ، فقلت : يركع عند المائة ، ثم مضى ، فقلت : يصلي بها في ركعة فمضى ، فقلت : يركع بها ، ثم افتتح النساء فقرأها ، ثم افتتح آل عمران فقرأها مترسلا ، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح ، وإذا مر بسؤال سأل ، وإذا مر بتعوذٍ

تَعَوَّذ ....الحديث).قال الإمام النووي في شرح الحديث : – (قال القاضي عياض : فيه دليل لمن يقول إن ترتيب السور اجتهاد من المسلمين حين كتبوا المصحف ، وأنه لم يكن ذلك من ترتيب النبي – صلى الله عليه وسلم – ، بل وكله إلى أمته بعده .." (٣١) .

٢ – اختلاف مصاحف الصحابة في ترتيب السور ، فمنهم من رتبها على ترتيب النزول كمصحف علي ، وكان أول مصحف ابن مسعود : البقرة ، ثم النساء ، ثم آل عمران ، وكذا مصحف _ أُبَيٌّ _ فكان بينها اختلاف شديد في الترتيب وفي المصاحف لابن أشته :– " أن عثمان أمرهم أن يتابعوا الطوال ، فجعلت الأنفال والتوبة في السبع ولم يفصل بينهما بالبسملة ،فهذا الاختلاف الشديد بين مصاحف الصحابة دليل على أنه لم ينقل عن النبي – صلى الله عليه وسلم – شيء في هذا الباب وإلا لما ساغ لهم أن يهملوا ترتيب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعمل آخر من اجتهادهم" (٣٢)

ويمكننا مناقشة هذه الأدلة : – بأن حديث حذيفة يبين أن سورة النساء كانت في ذلك الوقت مقدمة على سورة آل عمران ، ثم حصل الترتيب بعد ذلك بالتوقيف .. **أو** : أن الترتيب في الصلاة ليس بواجب ، وفعله – صلى الله عليه وسلم – كذلك لبيان الجواز (٣٣)..

أما استدلالهم باختلاف مصاحف الصحابة فيمكن رده : بأن مصحف عثمان – رضي الله عنه – لو كان اجتهادياً لما وافقوه على ذلك ، لأنه ليس لمجتهد

أن يقلد مجتهداً آخر ، كما هو مقرر عند الأصوليين . ثم إن مصاحف الصحابة كانت خاصة بهم ، جمعت إلى القرآن بعض مسائل العلم ، وبعض المأثورات ، فهي إلى كتب العلم أقرب منها إلى المصاحف المجردة ، ومن هنا وجدنا الذين استنسخوا المصاحف العثمانية لم يعتمدوا عليها ، بل اعتمدوا على جمع أبي بكر ، وجمع أبي بكر – كما هو معروف – ، اعتمد على ما جُمع بين يدي النبي – صلى الله عليه وسلم –، ومن هنا فقد عدلوا جميعا عن هذه المصاحف ، وساروا على ما سار عليه الصحابة جميعاً ، وهو جمع عثمان رضي الله عنه – ، ووافقوا على مصاحف عثمان وما فيها من لفظ وترتيب ، وترك ما سواها ، فلو كان الترتيب بالاجتهاد لظلوا على اجتهادهم ، وبهذا ظهر بطلان هذا القول .وأكد ذلك الآلوسي في مقدمة تفسيره . (٣٤)

القول الثاني : إن ترتيب السور بعضه بالتوقيف ، وبعضه الآخر باجتهاد من الصحابة . وقد مال القاضي أبو محمد بن عطية إلى هذا القول ، فقال : "وظاهر الآثار أن السبعة الطوال ، والحواميم ، والمفصل ، كان مرتبا في زمن النبي – صلى الله عليه وسلم – ، وكان في السور ما لم يرتب ، فذاك هو الذي رتب وقت الكَتْبْ.) (٣٥).أي : فوض إلى الأمة أمر ترتيبه .

ومن جانب آخر ذهب البيهقي في المدخل إلى أن القرآن كان على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – توقيفي إلا الأنفال ، وبراءة ، فإن ترتيبهما باجتهاد من عثمان – رضي الله عنه – ، ووافقه عليه الصحابة ، وقد استدل

على استثناء هاتين السورتين بما أخرجه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة ، وابن حبان ، والحاكم ، وغيرهم ، عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: " قلت لعثمان بن عفان : ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني ، وإلبراءة وهي من المئين ، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر – بسم الله الرحمن الرحيم – ووضعتموها في السبع الطوال ..؟ ما حملكم على ذلك ..؟ قال عثمان : إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان مما يأتي عليه من الزمان ، ينزل عليه من السور ذوات العدد ، وكان إذا أنزل عليه الشيء يدعو بعض من يكتب عنده ويقول : ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، وتنزل عليه الآية فيقول : ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة ، وبراءة من آخر القرآن ، فكانت قصتها شبيهة بقصتها ، فقبض رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولم يبين لنا أنها منها ، وظننت أنها منها ، فمن ثم قرنت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر – بسم الله الرحمن الرحيم – ووضعتها في السبع الطوال ... " ([٣٦]) ويعلق ابن حجر على هذا الحديث بقوله : – " فهذا يدل على أن ترتيب الآيات في كل سورة كان توقيفياً ، ولماّ لم يفصح النبي – صلى الله عليه وسلم – بأمر براءة ، أضافها عثمان إلى الأنفال اجتهادا منه.." ([٣٧]).وقال السيوطي :" والمختار عندي أن كل السور توقيفية سوى الأنفال وبراءة " ([٣٨])

ويمكننا مناقشة دليل أصحاب هذا القول من وجهين :

أولا : إن هذا الحديث غير صحيح .. لقول الترمذي فيه : " حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عوف ، عن يزيد الفارسي، عن ابن عباس ، ويزيد هذا مجهول الحال .. " (٣٩) . وقال الذهبي : " عوف الأعرابي : قيل : كان يتشيع ، وقد وثقه جماعة ، وجَرَّحَهُ جماعة ، وكان داود بن أبي هند يضربه ويقول : ويلك ياقدري ..وقال بندار : والله لقد كان عوف قدريا ، رافضيا شيطانا " (٤٠) . وقال مسلم في مقدمة صحيحه : – " وإذا وازنت بينه وبين الأقران رأيت البون بينهم بعيداً ، في كمال الفضل ، وصحة النقل ." (٤١) .

وأما يزيد فقد اختلفوا فيه ، هل هو ابن هرمز أو غيره.؟ وقد ذكره البخاري في كتاب الضعفاء باسم يزيد الفارسي لاشتباهه فيه ، وحيث أنه قد انفرد بهذا الحديث ، فلا يحتج به في شأن القرآن الذي يطلب فيه التواتر (٤٢).. .

وقال الذهبي : " قال فيه النسائي وغيره : متروك ، وقال الدارقطني وغيره : ضعيف ، وقال أحمد : كان منكر الحديث ." (٤٣) فإذا كان الحديث بهذه المكانة من الضعف ، ولم يرتضيه إلا القليل الذين قوموه ، ولم يخرجوه عن أقل درجات القبول ، فكيف نقبله .؟ وأمر القرآن الذي هو في أعلى درجات القمة نقلا ونظما وترتيبا ..؟ (٤٤)

كما أن في متن الحديث اضطراباً ، إذ أن ابن عباس يعجب كيف جعل عثمان براءة وهي من المئين ، والأنفال وهي من المثاني بين الطوال ، وهذا

العجب يستقيم لو كانت يونس من الطوال ، وأخرها عثمان عن براءة والأنفال ، مع أن يونس أقصر من براءة وحدها ، وإن كانت أطول من الأنفال ، إذ أن سورة يونس (١٠٩ آيات) وسورة براءة (١٢٩ آية) فكيف يصح عجب ابن عباس ..؟ وهذا كله مما يجعل الناظر في المسألة لا يعتمد صحة هذه الرواية .

وثانيا : بقي علينا الكلام في حديث ابن عباس في اقتران براءة والأنفال – على فرض صحة هذه الرواية – فنقول : لقد استدل ابن كثير في فضائل القرآن ، والبيهقي ، والسيوطي ، وغيرهم ، بهذا الحديث على أن ترتيب سور القرآن ثابت بالتوقيف إلا الأنفال وبراءة ، وهذا غير مُسَلَّم ، إذ كيف نثبت في المصحف أمراً قائماً على الظن ، ومن عثمان وحده ..؟

وقوله : (فقبض رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولم يبين لنا أنها منها) بعيد ، إذ الأنفال نزلت في السنة الثانية عقب غزوة بدر ، والتوبة نزلت في أواخر السنة التاسعة بعد تبوك ، وبعد خروج أبي بكر للحج على رأس المسلمين ، فكيف يُعقل أن يظل الرسول – صلى الله عليه وسلم – زهاء خمسة عشر شهراً ولا يبين للناس أنها منها أو غيرها ..؟ إنه يكون بذلك قد تأخر عن البيان وقت الحاجة إليه ، بل مات قبل البيان ، وحاشاه – صلى الله عليه وسلم –أن يفعل ذلك ، مع ورود الأحاديث الصحاح بأنه كان يعرض القرآن كله في رمضان من كل عام على حبريل ، وعرضه في العام الذي

توفي فيه مرتين ، وحينئذ فأين كان يضع هاتين السورتين في قراءته حينما كان يعرضهما على حبريل ..؟ ([٤٥])

أما قوله " فمن ثم قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر– بسم الله الرحمن الرحيم – " فإن البسملة لا تخضع لهوى الكتاب إثباتا وحذفا ، أخرج أبو داود والحاكم ، وصححاه عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : " كان النبي – صلى الله عليه وسلم – لا يعلم ختم السورة حتى ينزل : بسم الله الرحمن الرحيم "

وفي رواية : " فإذا نزلت – بسم الله الرحمن الرحيم – علم أن السورة قد انقضت " ، قال الحافظ أبو شامة : هذا حديث حسن .([٤٦])

وإنما لم تذكر البسملة في أول سورة براءة " ليعلم أنه يخص من يشاء وما يشاء بما يشاء ، ويفرد من يشاء وما يشاء بما يشاء ، ليس لصُنعِهِ سبب ، وليس له في أفعاله غَرضٌ ولا أَرَب " ([٤٧]) ..

وأما ما قاله المفسرون في أسباب عدم ذكرها هنا فهو التماس للحكمة . هذا وقد قام الإجماع على أن سورة الأنفال سورة برأسها غير سورة التوبة ...

ولذا قال الزركشي : " إن سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة بإجماع أهل الحل والعقد " ([٤٨]) . **فوضع السورة هذه بعد تلك** ، كان بوحي من الله تعالى ، وأن حذف البسملة من أولها كان بوحي منه جل شأنه ، إن القرآن

الكريم كله آية آية ، وسورة سورة ، مرتب من الله تعالى ، وقد بلغه عنه رسوله الأمين – صلى الله عليه وسلم – لصحابته الكرام ، فرتبوه كما سمعوه .

القول الثالث :– وهو القول المختار – : إن ترتيب السور تمَّ بتوقيف من النبي – صلى الله عليه وسلم – على ما استقر في العرضة الأخيرة ، وقال الألوسي عن هذا القول :إنه لجمهور العلماء ([٤٩])

وقال أبو بكر الأنباري : " كان جبريل يوقف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على موضع السورة والآية ، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف ، فكله عن محمد خاتم النبيين – عليه الصلاة والسلام – عن رب العالمين ، فمن أخَّرَ سورةً مُقَدمة ، أو قدم أخرى مؤخرة ، فهو كمن أفسد نظم الآيات ، وغَيَّرَ الحروف والكلمات ، ولا حجة على أهل الحق في تقديم البقرة على الأنعام ، والأنعام نزلت قبل البقرة ، لأن رسول الله أخذ عنه هذا الترتيب " ([٥٠])

ومما يُستأنس به أيضا على أن ترتيب السور توقيفي ، هو : أن الحواميم رتبت وِلاءً ، وكذا الطواسين ، ولم ترتب المسبِّحات تباعاً ، بل فصل بينهما بالمجادلة ، والممتحنة ، والمنافقون ، وأفردت الإسراء في النصف الأول ، وفصل بين الشعراء والقصص وهما يبدءان بـ " طسم " بـ " طس النمل " مع أنهما أقصر منها ، ولو كان الترتيب اجتهاديا لذكرت المسبحات ولاءً ، وأُخِّرَت " طس" عن " القصص " ، أما وأنه قد حصل الفصل بين المتماثلات

والمتقاربات من السور مع عدم التناسب في الطول والقصر ، فهذا يدل على أن الترتيب توقيفي([٥١]) .. يقول القرطبي : " وقال قوم من أهل العلم : إن تأليف سور القرآن على ما هو عليه في مصحفنا كان عن توقيف من النبي – صلى الله عليه وسلم – " ([٥٢])

ومهما يكن من أمر، وسواء أكان هذا الترتيب الذي نجده في المصاحف بطريق التوقيف أم بطريق الاجتهاد، فقد أجمعت الصحابةُ عليه، ومضت الأمة على قبوله، فيجب التمسكُ به، والإعراضُ عن الدعواتِ المشبوهة ، لإعادة ترتيب المصحف حسب النزول أو الموضوع ، أو غير ذلك مما يلهج به المستشرقون وتابعيهم ، ولأن في ترتيب سُوَرِهِ معانيَ لا تقل عن معاني الترتيب في آياته، جَدَّ كثير من العلماء في استنباطها وتحصيلها، فالعدول عن هذا الترتيب مخالف للإجماع ، وفي ذلك مفاسد عظيمة، ويكفينا أنه ترتيب أجمع عليه الصحابة ، والإخلال به يخالف هذا الإجماع . [٥٣].

المستشرقون وترتيب سور القرآن :

للمستشرقين([٥٤]) آراء غريبة حول ترتيب سور القرآن الكريم وآياته، تُناقض ما قرّره علماء المسلمين من توقيف الترتيب القرآني، وما ينطوي عليه ذلك الترتيب من ترابط موضوعي ، وإعجاز بلاغي، إذ يزعمون أن ترتيب القرآن كان باجتهاد من النبي أو الصحابة، ولا يرجع إلى تعيين النبي – صلى الله عليه وسلم – وتوقيفه ، المتلقّى عن الوحي أساساً.. والهدف من طرح هذا

الإشكال هو : التشكيك والطعن في ترابط النص القرآني، ووحدته وأسلوبه، ومن ثَمَّ ادِّعاء تعرضه للتصرف البشري ، الذي هو في حقيقة الأمر نوع من التحريف والتبديل. **ولذلك زعموا أن القرآن رُتِّبَ بحسب الأحداث والمواسم** ، إلى ثلاثين جزءاً ليتناسب مع شهر رمضان ..!!

جاء في **الموسوعة البريطانية** ما يلي : " إن القرآن بطوله يمكن مقارنته تقريبا مع العهد الجديد بطوله ، ومن أجل سهولة تلاوته ، فقد قسم إلى ثلاثين جزءاً لتتلاءم مع عدد أيام شهر رمضان ، حيث يتلى جزء واحد لكل يوم من أيامه." ([٥٥])

وقال بلاشير ([٥٦]) : " وقد قسم القرآن فيما بعد لمجرد الباعث العملي ، وتسهيلا لتلاوته بمناسبة الاحتفالات الدينية إلى ثلاثين جزءاً ، لا علاقة بينها وبين التقسيم إلى سور .." ([٥٧])

ومن هذا النحو قولهم : إن السور رتبت بحسب الطول ، وفي هذا قال " **ج. أ . ر . جيب** "([٥٨]) : " من حيث الشكل الخارجي يتكون القرآن من " ٣٠٠ صفحة " وينقسم إلى " ١١٤ سورة " رُتِّبت تقريبا بحسب طولها ، باستثناء السورة الأولى – يعني : الفاتحة – ، ..وهكذا حتى آخر السور ، بحيث تتكون السور الأخيرة من ثلاث إلى خمس آيات .([٥٩]).

وفي منتصف القرن التاسع عشر حاول المستشرق الألماني " **نولديكه** " ([٦٠]) ، وتلميذه " **شفالي** "([٦١]) ترتيب القرآن وفق ترتيب النزول ، ولكن

هذا الترتيب لم يأخذ حيز التنفيذ بكتابة تفسير للقرآن الكريم ، إلا ما وجدناه في محاولة المستشرق الفرنسي " **ريجس بلاشير** " الذي قام بترجمة معاني القرآن إلى الفرنسية عام " ١٩٤٧ – ١٩٥٠" على أساس ترتيب النزول الذي وضعه الألماني" **نولديكه** " ، ثم تبين للمستشرق الفرنسي" **بلاشير**" استحالة ترتيب القرآن بحسب النزول ، لأنه لا يوفر ترتيباً دقيقاً وموضوعياً، ويرى ضرورة العدول عن هذا المنهج إلى منهج آخر، يراعى فيه ترتيب القرآن حسب المراحل والموضوعات ، (٦٢).

ثم حاول ذلك " **هيرتوج هيرشفيلد** " ([٦٣]) في كتابه : " أبحاث جديدة في تركيب وتفسير القرآن " وهو لم يخرج عن مسلمات " نولديكه " .

ثم ظهرت محاولة " **ريتشارد بل** " ([٦٤]) عام ١٩٣٧م– ١٩٣٩م ، وكان عمله أخطر ما قدمه مستشرق غربي ، حيث شكك في النص القرآني ، وكل هذه المحاولات لا تساوي الحبر الذي كتبت فيه ،وعقليتهم الغربية أعجز من أن تصل إلى كُنه هذا الكتاب الرباني ، المرتب بتناسق عجيب ، وسلاسةٍ أَخّاذَة ..([٦٥])

ثم جاء عقب هذه الجهود الفاشلة ، ما قام به **الدكتور محمد عابد الجابري** ([٦٦]) في كتابه المسمى " فهم القرآن الحكيم، التفسير الواضح حسب ترتيب النزول " و**المنهج الذي اتبعه الجابري ، هو منهج معروف في خطوطه العامة، وقد أشار هو بنفسه إلى أن فكرة تفسير القرآن وفقاً لترتيب النزول**

تعود إلى المستشرق الفرنسي " ريجس بلاشير " الذي قام بترجمة " معاني القرآن " إلى الفرنسية على أساس ترتيب النزول الذي وضعه " ثيودور نولديكه **" ، أي أنه من حيث خطوط المنهجية العامة لم يأتِ بجديد** ، وما قام به هو عبارة عن تجديد للمحاولات الاستشراقية ليس إلاّ..!!

فالرجل اتَّبعَ خطوات **نولديكه** " على رغم نقده الشديد لها " مع بعض التعديل، ولو قارنا مُؤَلَّف الجابري مع مُؤلَّف " تاريخ القرآن " لوجدنا مشروع الجابري نسخة مطورَّة عن مشروع **نولديكه...؟!**([٦٧]) أي أنه من حيث خطوط المنهجية العامة لم يأتِ بجديد، وإنما جديده يكمن في تفاصيل المنهج ، وطريقة تطبيقه التي جعلته يسميه " التفسير الواضح " .

وللرد على مقولاتهم نقول :

أولا : إن ترتيب آيات القرآن ليس بحسب الأحداث والمواسم كما يزعمون ، بل بحسب توقيف النبي – صلى الله عليه وسلم – كما تقدم . ولم يرد قط عن الرسول – صلى الله عليه وسلم –شيء يدل على هذا التقسيم المزعوم **ليتناسب** مع شهر رمضان .

ثانيا : لا يخضع ترتيب السور لطول السورة وقصرها كما زعموا ، فسورة الأنفال وضعت قبل سورة التوبة التي هي أطول منها ، وسورة الحجر أقصر من سورة النحل ، ولكنها وضعت قبل سورة النحل .. وسورة الكوثر أقصر من سورة " الكافرون " ومع ذلك قدمت على " الكافرون " في الترتيب

، فالترتيب المصحفي على غير ترتيب النزول ، ولكن لا يعني أن ذلك غير مرتب ، لأن ترتيبه توقيفي .. ومن ثم فهو سر من أسرار إعجاز القرآن ، إذ أن مجيئ السورة بعد سابقتها دال على ارتباط وصلة وإحكام ما بين السورتين ، وقد يكون من حيث الموضوع ، وقد يكون من حيث اللفظ ، وقد يكون من من حيث الموضوع واللفظ معا ، فالمكية تتناسب مع المدنية التي تجاورها ، وكذا المكية مع المكية ، والمدنية مع المدنية ، هكذا تأتي هذه السور كلها بهذا الترتيب المصحفي متناسقة كسلسلة واحدة ، وقد ثبت أن الناس عجزوا عن الإتيان بمثل هذا الترتيب في الانسجام والتناسق ([٦٨])

ثالثا : إن ترتيب الآيات في السور القرآنية ليس عشوائيا ، ولا باجتهاد كتبة المصحف –كما زعم المستشرقون – ، بل هو توقيفي من الله سبحانه ، وقد ثبت أن القرآن لم ينزل جملة واحدة بل نزل منجما ، وكان الرسول – صلى الله عليه وسلم –كلما نزل عليه نجم من تلك النجوم قال : ضعوه في بعد آية كذا في سورة كذا ، وهو بشر لا يدري ما ستجيئ به الأيام ، ولا يدرك ما سيجد من الدواعي والأحداث ، فضلا عما سينزل فيها ، ثم مضى العمر والرسول على هذا العهد ، وإذا القرآن كله بعد ذلك يكتمل ويتم ، ولا يؤخذ **عليه شيئ** من التفكك والتعارض ، فهذا برهان على أن ترتيب الآيات لم يكن عشوائيا ، بل إنما تم بترتيب العليم الحكيم . ولذلك جاء محكم البناء ([٦٩]) بل عد العلماء ذلك من إعجاز القرآن . قال القاضي عياض : إن من وجوه الإعجاز حسن تأليف القرآن . ([٧٠])

تشكيك الجابري في أمية الرسول – صلى الله عليه وسلم –:

وردت كلمة (أُميّ) في القرآن الكريم مفردة وجمعاً ست مرات ، مرتين مفردة ([٧١]) ، وأربع مرات جمعاً . ([٧٢]) فقد جاءت في سورة الأعراف صفتين للنبي– صلى الله عليه وسلم – ، وفي سورة البقرة صفة لطائفة من اليهود ، أما في سورة آل عمران فهي صفة للمشركين من العرب ، وجاءت بنفس المعنى في سورة الجمعة ، وفسر القرطبي كلمة (أمي) في قوله تعالى : " الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ..." (الأعراف : ١٥٧) بأن (الأمي) " منسوب إلى الأمة الأمية التي هي على أصل ولادتها ، لم تتعلم الكتابة ولا القراءة ([٧٣])..."

ونقل الفخر الرازي عن الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السرى بن سهل الزجاج البغدادي (٢٤١ هـ–٣١١ هـ) أن (الأميّ) هو الذي على صفة أمة العرب ..فالعرب أكثرهم ما كانوا يكتبون ولا يقرؤون ، والنبي كان كذلك ، فلهذا وصفه بكونه أميا ([٧٤]) . وفسر المفسرون أيضا كلمة (أمي) في قوله تعالى : (..... فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (الأعراف : ١٥٨) بنفس المعنى .. ووروودها جمعاً أيضا ، لم يبتعد عن هذا المعنى .. ونقل الطبري في شرحه للآية " وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ ... " (البقرة : ٧٨) قال:إنهم ناس من اليهود لا يقرءون ولا يكتبون ..([٧٥]) ..

وفسر اللغويون كلمة (أميّ) بأنها الجهل بالقراءة والكتابة ، ورأوا أنها نسبة إلى الأمة الأمية ، أو أم القرى (مكة) أو الأم ..([٧٦]) .. وقال في معجم ألفاظ القرآن الكريم : الأمي : من لا يكتب ولا يقرأ . ([٧٧]).

وهناك أحاديث نبوية تفيد أن لكلمة (أمي)معنى واحداً ،وهو الجهل بالقراءة والكتابة ، ووصف القرآن الكريم النبي– صلى الله عليه وسلم – بهذه الصفة ، لا يحتمل إلا هذا المعنى الذي أجمع عليه المفسرون، واللغويون ، والمؤرخون المسلمون ومن هذه الأحاديث قوله – صلى الله عليه وسلم –: " **إنا أمة أمية ، لا نكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا وهكذا** .." ([٧٨]) يعني : مرة تسعة وعشرين ، ومرة ثلاثين . **وحديث علي بن أبي طالب** – رضي الله عنه – قال : (والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، **إنه لعهد النبي الأمي إليّ** : ألا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق) ([٧٩])

ومع أن الحديث السالف الذكر يثبت بما لا يدع مجالاً للشك في أمية النبي – صلى الله عليه وسلم – التي تعني أنه لا يعرف القراءة والكتابة ، زعم **الجابري – وأصحاب الاتجاه العلماني**– ([٨٠]) أنه مختلق مصنوع ، وشكك في أمية الرسول– صلى الله عليه وسلم – وزعم أنه كان عالما بالقراءة والكتابة..!!([٨١]) **وقال** : " عندما نبهت في فقرة سابقة إلى خلو اللغة من أصل للفظ " **أمي** " وما اشتق منه " **أمية وأميون** " و**قلت:** إن هذه الكلمة معربة ، وأن أصلها يرجع إلى لفظ : الأمم " الذي أطلقه اليهود على غيرهم..

وزعم بأن الرسول–صلى الله عليه و سلم– كان يقرأ ويكتب.. " ([٨٢]) وهو لم يقدم دليلا صحيحاً يُثبت ما ذهب إليه ..

ولم يقبل المستشرقون ([٨٣]) تفاسير المفسرين واللغويين لكلمة (أمي) مفردة وجمعاً ، فهي عندهم لا تعني الذي يجهل القراءة والكتابة ، ولكنها تعني الوثنية ، وأسمى القرآنُ محمداً– صلى الله عليه وسلم – نبي الأميين ، وهل يعقل أن يكون النبي – حسب زعمهم – وثنياً ، جاهلاً بالدين ..؟!

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو : لماذا شرح المفسرون واللغويون الاسلاميون كلمة (أمية) بأنها الجهل بالقراءة والكتابة ، ورفض بعض المستشرقين وتلاميذهم هذا الشرح .؟

ويكمن الجواب في أن اليهود والمسيحيين كانوا يقسمون العالم إلى قسمين ([٨٤]) ، يهود ، وغير يهود " **غوييم** " ، ففي سفر التثنية ، الإصحاح الثالث والعشرين ، فقرة رقم (٢٠) قوله : " لا تقرض أخاك بربا للأجنبي تقرض بِربِا "

وجاء في إنجيل مرقص ، الإصحاح السابع ، فقرة (٢٦) : " وكانت المرأة أممية في جنسها ، فينيقية سورية " ، وعلى هذا فإن المستشرقين عندما ترجموا الكلمة ، فإنهم لم يستطيعوا إبعاد تقاليدهم الدينية، مسيحية ويهودية ، وبينما أرجع المفسرون واللغويون المسلمون كلمة (أمي) إلى أم ، أو أمّ القُرى ، فإن هؤلاء المستشرقين أرجعوها إلى كلمة (أمة) المأخوذة من العبرية " **أموت هَعُولم** " ([٨٥])..

كما استدل الجابري بروايات تاريخية ، كشواهد على صحة زعمه ، من أن النبي–عليه الصلاة والسلام– كان يقرأ ويكتب . فلم تصح استدلالاته ، ولم يُوفق في زعمه . و تبيان ذلك فيما يأتي :

١– **استدل على صحة رأيه** ، بخروج النبي–صلى الله عليه و سلم– إلى الشام للتجارة ، فذكر أنه : " كان قبل النبوة يتردد على الشام في تجارة لخديجة ، التي تزوجته بسبب ما لمسته من أخلاقه وكفاءته ، وأنه من غير المتوقع أن يكون جاهلا بالكتابة والحساب ،وهو يقوم بمهام التجارة . بينما كان أقرانه ممن هم أقل شأنا منه يعرفون ذلك . أدركنا كَمْ هي راجحة الأراء التي قالت بأن النبي–صلى الله عليه و سلم– كان يعرف الكتابة و القراءة..؟!" ([٨٦])

وقوله غير صحيح ..

لأنه أولا : ليس صحيحاً أن النبي– عليه الصلاة و السلام– كان يتردد على الشام للتجارة ، لأنه لم يكن تاجراً محترفاً ، حتى يُقال : إنه كان يتردد على الشام . و الثابت في السيرة النبوية أن رسول الله – صلى الله عليه و سلم– لم يخرج إلى الشام إلا مرتين.. **الأولى** : خرج فيها مع عمه أبي طالب و كان ما يزال صغيراً ... **والثانية** : خرج فيها إلى الشام للتجارة في أموال خديجة–رضي الله عنها– قبل زواجه بها . و لم يخرج إلى الشام إلا في هاتين السفرتين ، الأولى : لم يكن فيها تاجراً ،والثانية: هي التي كان فيها

تاجراً ([٨٧]) ، فهو لم يتردد عليها أبداً ، لا من أجل التجارة و لا من أجل أمرٍ آخر ، فزعْمُهُ هذا هو من قبيل التدليس ،و كان عليه أن يُوثق زعمه.

وثانيا : إن استدلاله بأن خروج النبي- عليه الصلاة و السلام- إلى التجارة ، يعني أنه من غير المتوقع أن يكون لا يعرف الكتابة ، هو استدلال ضعيف ، و مُستبعد أيضا ، لأن ممارسة التجارة لا تستلزم معرفة الكتابة ، فكم من تاجر لا يعرف القراءة ولا الكتابة ،ويعتمد أساسا على ذاكرته القوية التي لا تخونه إلا نادراً . و هذا أمر معروف و مُشاهد في زماننا هذا . والنبي- عليه الصلاة والسلام – لم يكن تاجراً محترفاً ولا شبه محترف ،ولم يكن تاجراً أصلاً ، وإنما خرج تاجراً مرة واحدة في حياته، ومرة أخرى مع عتمه .. . الأمر الذي يعني أن استنتاج الجابري غير صحيح .

وثالثا :- نص القرآن الكريم صراحة على أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، وهذا وحده كاف لإبطال زعم الجابري ، لأن ما قرره القرآن لا يمكن رده برواية تاريخية ، ولا باستنتاج ، ولا بتأويل .

وزعم الجابري زعمٌ باطل ، فيه تدليس على القُرّاء ، لأن مضمون كلامه أن قريشاً لم تكن تعتقد أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان أمياً ، و إنما كانت تعتقد أنه كان يعرف القراءة و الكتابة . وهذا زعم باطل ، وكان

عليه أن يُوثّقه . لأن زعمه هذا هو حكاية لخبر ، والخبر يجب توثيقه ، وهو لم يُوثّقه ، فمن أين جاء بزعمه هذا . ؟ !

و قوله بأنه لا أحد من الرواة ذكر أن قريشاً نسبت إلى الرسول- عليه الصلاة و السلام- كتابة القرآن ، فهذا يحتاج إلى توضيح ،وإزالة الغموض الذي يكتنفه ،والتلبيس حوله ...

لأن الحقيقة هي أن قريشاً اتهمت فعلا الرسول-عليه الصلاة والسلام- بأنه كتب جانباً من القرآن بواسطة بعض أهل الكتاب . بمعنى أن ذلك كُتِبَ له بطلبه و أمره ، وقد سجل القرآن هذا الاتهام على لسان قريش ، في قوله سبحانه : (وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) (الفرقان : ٥) . وقوله : (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) (النحل : ١٠٣) . فهذا دليل قاطع على أن قريشاً اتهمت الرسول بكتابة القرآن بواسطة أهل الكتاب ، **وهذا الاتهام يتضمن أيضاً دليلاً دامغاً على أن قريشاً كانت تعرف أن النبي-عليه الصلاة و السلام- كان أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة** ، لهذا اتهمته بأن بعض أهل الكتاب كتب له القرآن . فلو كانت تعتقد أنه يعرف القراءة والكتابة لاتهمته مباشرة بأنه تعلّم ذلك وكتبه بنفسه ، ولا ما قالت : (**اكْتَتَبَهَا**) ، و(**إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ**) . ولا شك أن الذي يعرف القراءة

والكتابة يكتب ويُطالع بنفسه . وهذا لم يثبت في حق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ،ولا اتهمته به قريش..

وقد فسر اللغويون كلمة (أمي) بأنها الجهل بالقراءة والكتابة ، ورأوا أنها نسبة إلى : **الأمة الأمية** ، أو **أم القرى (مكة)** أو**(الأم)** ([٨٨]) ، ولم يقبل المهتمون بالدراسات الاسلامية من المستشرقين وتابعيهم تفاسير المفسرين واللغويين لكلمة (أمي) فهي عندهم لا تعني الذي يجهل الكتابة والقراءة كما تقول اللغة العربية ، بل هي بمعنى : الوثني ، أو غير اليهودي كما تقول اللغة العبرية ..؟ ([٨٩]) .. **لأنهم يريدون أن يثبتوا (تحكماً)** أن النبي – صلى الله عليه وسلم –كان قادراً على القراءة والكتابة ، أي أنه تعلم ما جاء به من اليهود والنصارى ..؟؟!! مع أن القرآن الكريم حسم هذا الأمر حسماً لا يدع مسرباً لشك بقوله تعالى : (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) (العنكبوت : ٤٨)

ثم إن هذا الأمر كان مَثار جَدَلٍ في الأوساط العلمية الاسلامية في القديم .. فقد ألف **(القاضي سليمان أبو الوليد بن خلف الباجي)**(تـ ٤٧٤هـ) رسالة أسماها (تحقيق المذهب) ([٩٠]) ، ولم يسلم من انتقاد معاصريه مثل : **(أبي بكر الصائغ)** الذي كَفَّرّه .. وخصص بعض الباحثين فصولاً كاملةً في كتبهم حول هذا الموضوع ، ففي كتاب التراتيب الإدارية فصلٌ كامل عنوانه : " هل كتب – عليه السلام – بنفسه شيئا وأمضى بعض كتبه بيمينه الشريفة أم لا

.." ([٩١]) ونقل المؤلف جُلَّ الأقوال التي قيلت في الموضوع مؤيدة ومعارضة ، وتعرض للباجي المذكور .. ([٩٢])

وقد ألقى الدكتور أحمد محمد الحوفي بحثا في الجلسة العاشرة لمؤتمر المجمع اللغوي بالقاهرة في ٩/ ٣ / ١٩٧٤م تحت عنوان : (الأمي والأميون في القرآن الكريم) ([٩٣])

وكتب **الاستاذ أحمد شحلان** بحثا تحت عنوان : (مفهوم الأمية في القرآن) ([٩٤]) .. وتبعه الاستاذ (**علي شواخ**) فأصدر كتابه (ماذا حول أمية الرسول) ([٩٥]).. وكتب **الدكتور**(**قحطان الدوري**) بحثه تحت عنوان (أمية الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم –) ([٩٦]) ، ثم كتب **الدكتور**(**لخضر شايب**) كتابه (هل كان محمد أميا .. الحقيقة الضائعة بين أغلاط المسلمين ومغالطات المستشرقين) ([٩٧]) .. **إلا أن جاء الجابري** .. أعاد ما افتراه المستشرقون ..الذين وقفوا عند معنى وهميّ لكلمة (أمي) ، **استخرجوه من جملة (أموت هعولم) العِبْرِيَّة** ، وبذلك أباحوا لأنفسهم – وعقدة الاستعلاء تُغَلِّفُ ذهنيتهم– ، أن يتصرفوا في معاني الكلمة العربية (أمة ..أمي) ، وأن يجلبوا لها معانيها من لغات أخرى .!؟ والمؤسف أن بعض باحثينا قبلوا أبحاثهم ، دون أن يفكروا في إعادة النظر فيها ، فالأبوية في الدَّرس والعلم ، تقتل المنهج العلمي الباحث عن الحقيقة . ([٩٨])

وخلاصة القول :

في حكمة أمية الرسول – صلى الله عليه وسلم – : أن الله بعثه أمياً ... وأعطى البشرية ما يعجز عنه كل متعلم .. فالأمية كمالٌ في حقه – صلى الله عليه وسلم – ، ودليل على القدرة والعناية الإلهيتين ، وعلى المعجزة الربانية في نفس الوقت .. لأن الله تعالى أفاض عليه من العلوم والمعارف مع كونه لم يتعلم ، ولم يقرأ ، ولم يكتب ، ما تحارُ فيه عقول العلماء ..

قال البوصيري :

كفاك بالعلم في الأميِّ معجزة .....في الجاهلية والتأديب في اليُتِم .

وقال شوقي :

يا أيها الأمي حسبك رتبة .....في العلم أن دانت بك العلماء .

(واعتراف الرسول – صلى الله عليه وسلم –بقوله (نحن أمة أُميَّة .. وما أما بقارىء) ومسلكه طوال حياته ، وشهادة أتباعه ، واعتراضات أعدائه ، وتصريح القرآن المدوي ،كل هذا يثبت بما لا يدع مجالاً للشك ، أن الرسول كان أمياً ... وكل محاولة غرضها إثبات العكس، هي أضعف من أن تزعزع هذه الحقيقة ، لأن محمداً لم يكن يعيش على كوكب آخر، وحياته معروفة في أدق تفاصيلها، وقومه ليسوا بهذه السذاجة ... وإذا كان يعرف القراءة حقاً ، ألم يكن من المحتمل أن ينظر مرة إلى مراسلاته ، أو إلى المدون من القرآن ، أو يراجعها.؟) ([٩٩])

إنكار الجابري للنسخ في القرآن ؟!

عبر القرآن الكريم عن وقوع النسخ في ثلاث آيات من آياته ، منها : قوله تعالى : (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير)(البقرة : ١٠٦) . فما وجه دلالة هذه الآية على جواز النسخ ...؟ يفسر الإمام الطبري قوله تعالى :- (ما ننسخ من آية) بقوله :- " يعني بقوله : ما ننسخ من آية:- ما ننقل من حكم آية إلى غيره ، فنبدله ونغيره، وذلك أن يحول الحلال حراما ، والحرام حلالا ، والمباح محظورا ، والمحظور مباحا ، ولا يكون ذلك إلا في الأمر والنهي ، والحظر ،والإطلاق ، والمنع ، والإباحة ، فأما الأخبار فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ "([١٠٠]) ، وبمثل ذلك فسرها الإمام ابن كثير في تفسيره ([١٠١]) ، وغيره من ثقات المفسرين.. غير أن هذا التفسير لم يقبل به الشيخ- محمد عبده-، فقد رأى أن سياق الآية لا يدل على جواز نسخ حكم شرعي بحكم شرعي آخر -كما يقول جمهور المفسرين-، وإنما يرى أن النسخ في الآية خاص بنسخ معجزات الأنبياء السابقين ، وله في هذا التفسير مَلْحَظ لا بد من ذكره والتعقيب عليه.

أولا :- يقرر الشيخ محمد عبده أن القدرة ومشتقاتها -كما في قوله تعالى في الآية التي معنا (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير)- لا يناسب موضوع الأحكام ونسخها، وإنما المناسب هو العلم والحكمة ، وعلى هذا فلو أن المراد بالنسخ في الآية نسخ الأحكام الشرعية ، لكان المناسب أن يقول الله :- ألم

تعلم أن الله عليم حكيم ..، بدلا من : ان الله على كل شيء قدير..

ثانيا :- إن الآية التي تلت الآية التي معنا ترشح لهذا المعنى الذي يذهب إليه ، ذلك لأن الله تعالى يقول فيها :- (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل)(البقرة : ١٠٨) وقد سئل موسى- عليه السلام- المعجزات من بني إسرائيل على صحة دعواه الرسالة.

ثالثا :- إن ابن كثير المفسر ، وكذا أبا عمرو أحد القراء السبعة ، قد قرءا قوله (أو ننسها) أو ننسأها. من النسيء وهو التأخير ، و يظهر هذا المعنى في مقام نسخ الأحكام، كما يظهر في مقام نسخ الآيات والمعجزات المقترحة على الأنبياء . ..وينتهي الشيخ محمد عبده من هذا المقام إلى هذه النتيجة وهي : أن المراد بالآية هنا هو : المعجزة ، لا الآية القرآنية ..؟!

وتابعه الدكتور محمد عابد الجابري ، إذ قال ما نصه : (وإذا نحن رجعنا إلى القرآن الكريم فإننا سنجد أن لفظ "آية"، في جميع الصيغ التي ورد فيها (آية، آيات، آياتي، آياتنا) ينصرف معناه إلى العلامة (أو المعجزة التي تثبت وجود الله وقدرته... الخ). من ذلك قوله تعالى : (وَإِنْ يَرَوْا آَيَةً (أي :انشقاق القمر) يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ] (القمر ٢)، وقوله: [وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آَيَةً (أي : سفينة نوح) فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ] (القمر ١٥). وقوله: [قَالَ (فرعون) إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآَيَةٍ (العصا) فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ](الأعراف ١٠٦). وقوله: [وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ (على محمد) آَيَةٌ مِنْ رَبِّهِ (معجزة) فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ] (يونس ٢٠).

وتتكرر عبارة "تِلْكَ آيَاتُ الكِتَبِ" وما في معناها، للإشارة إلى "ما يُحتاج إليه من الدليل على التوحيد والنبوّة والبعث وغيرها" مثل قوله تعالى: [وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا] (الإسراء ١٢)....

ثم يقول : وليس في القرآن قط ذكر لما اصطلح على تسميته" (آية) بمعنى : قطعة من القرآن .. أما لفظ "آية" الذي تكرر فيه كثيراً بمعنى العلامة والحجة والمعجزة... الخ، فلم يرد قط بالمعنى الاصطلاحي (آية من القرآن)، لا مفرداً ولا جمعاً.وذلك على خلاف لفظ "السورة"، الذي ورد في القرآن مفرداً("قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ) (يونس ٣٨) .. وجمعاً (قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِه .....) (هود ١٣). وعلى هذا فلا معنى للقول بالنسخ في القرآن ، إلا بمعنى أن الله ينسخ معجزة نبي سابق بمعجزة أخرى لنبي لاحق، دليلاً على صحة وصدق نبوة كل منهما، أو ينسخ ظاهرة طبيعية مثل الليل بظاهرة طبيعية أخرى مثل النهار...الخ، دليلاً على قدرته.) ([١٠٢]).. ونقول كلامه غير صحيح ...

فقد وردت كلمة (آية) بمعنى (قطعة من القرآن) في عدة أحاديث ، منها: ما أخرجه أحمد بإسناد حسن عن عثمان بن أبي العاص قال: كنت جالسا عند رسول الله إذ شَخَصَ ببصرِه ثم صَوَّبه، ثم قال: (أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [النحل: ٩٠] إلى آخرها... ومنها: ما أخرجه البخاري عن ابن الزبير قال:

قلت لعثمان: (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) [البقرة: ٢٣٤] قد نسختها الآية الأخرى فَلِمَ تكتبها أو تدعها؟ قال: يا بن أخي لا أغير شيئا منه من مكانه.

ومنها: ما رواه مسلم عن أبي الدرداء مرفوعا: (مَنْ حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من الدجال) وفي لفظٍ عنده (من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف). .. وهذا القول الذي قال به الجابري سبقه به : (أبو مسلم ابن بحر الأصفهاني المعتزلي) من القدماء ومن المُحدَثين العلماني نصر حامد أبو زيد ، الذي ردد ما قاله الشيخ محمد عبده ، وتلميذه الشيخ محمد رشيد رضا..فقد قالا : الآية في قوله (ما ننسخ من آية ..) ليس المقصود بها الآية من كتاب الله ، إنما هي الرسالة التي يُبعث بها النبي.. وهذا إطلاق صحيح ، فالآية وردت في كتاب الله تعالى في مواضع كثيرة معنياً بها المعجزة ، وكما تطلق على المعجزة تطلق على الرسالة .. فالآية عند هؤلاء ليست الآية من القرآن ، والنسخ عندهم ليس رفع الحكم الشرعي ، والنسيان عندهم ليس نسيان تلاوة الآية ، بل نسيان الرسالات السابقة ، ويستدل هؤلاء لما ذهبوا إليه بأدلة أوردها الدكتور فضل حسن عباس ، ورد عليها في كتابه إتقان البرهان ،([١٠٣]) وعلى هذا فلا معنى للقول بالنسخ في القرآن إلا بمعنى أن الله ينسخ معجزة نبي سابق بمعجزة أخرى لنبي لاحق، دليلاً على صحة وصدق نبوة كل منهما، أو ينسخ ظاهرة طبيعية مثل الليل بظاهرة طبيعية أخرى مثل النهار... الخ،

دليلاً على قدرته.)([١٠٤]).. وهذا ترديد لما قاله الشيخ محمد عبده.

ونرد هذه النتيجة التي توصل لها الشيخ محمد عبده وتابعه الدكتور الجابري عليها ولفيف من العلمانيين والحداثيين والقرآنيين بما يلي-:

أولا – لو أنعمنا النظر في الآيات التي سبقت هذه الآية ، لتبين لنا أن ما ذهب إليه الشيخ محمد عبده ومن تابعه ، كان فَهماً يخالف السياق ، ذلك لأن الآيات السابقة تتحدث عن بني إسرائيل ، وغدرهم ، وحرصهم على الحياة ، وحقدهم على محمد – صلى الله عليه وسلم- باعتباره آخر الأنبياء ، وتشكيكهم في كون القرآن هو معجزته الكبرى ، التي ستظل كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ولا شك أن تشكيكهم في كون القرآن من عند الله ، إنما استغل ظاهرة النسخ كأمر يلزم منه لديهم البَداء ، الذي هو محال على الله ، وعلى هذا فالنتيجة النهائية التي يريدون الوصول إليها هي زعمهم : أن القرآن ليس من كلام الله ، ولكن محمداً -صلى الله عليه وسلم- اختلقه ..!؟ فإذا كان الأمر كما بينا ، فما مقتضى هذا السياق لتفسير النسخ الوارد في الآية ..؟ أليس من الأوفق أن يفسر النسخ هنا برفع الحكم الشرعي وإحلال حكم آخر مكانه ..؟ ثم ألم يكن من المناسب أن يعقب -سبحانه- على هذا بإظهار أن ذلك لا يعجزه في شيء ، لأن هذا أمر متصل بتصرفه ، ومطلق قدرته ، لا بعلمه وحكمته.

وثانيا – إن لفظ – الآية- إذا أطلق فإنما يراد به الآية القرآنية ، لأن هذا هو المتبادر، والتَّبادُر أَمارةُ الحقيقة ، ولا يُعدَلُ عن الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة،

ولا قرينة هنا.. كما فسر السلف الآية بمعنى : الآية القرآنية ، ولم يرد في تفاسيرهم أن المراد بها المعجزة. فلفظ (آية)التي وردت في آيتي النحل ، والبقرة ، مراد به الآية القرآنية التي تحمل حكماً شرعياً ، ومعنى تبديل الآية مكان الأخرى – التي وردت في آية النحل – : أن الآية السابقة ينتهي حكمها ليحل محله الحكم الذي جاءت به الآية اللاحقة. قال مجاهد في تفسير قوله تعالى :(وإذا بدلنا آية مكان آية) : المراد بالتبديل : رفعناها فأنزلنا غيرها ، وعنه أيضا أنه قال :– نسخناها : بدلناها ورفعناها ، وأثبتنا غيرها.

وقال الإمام الطبري في تفسير هذه الآية:– " وإذا نسخنا حكم آية وأبدلنا مكانه حكم أخرى " ويعلل لذلك بقوله :" والله أعلم بما هو أصلح لخلقه فيما يبدل ويغير من أحكامه ، قال المشركون بالله المكذبون لرسوله_كما حكى القرآن–: إنما أنت يا محمد مفترٍ ، أي : كاذب ، تَخرِصُ بتقول الباطل على الله ... فيقول الله تعالى رداً عليهم : بل أكثر هؤلاء القائلين لك يا محمد (إنما أنت مفتر) :– جُهال بأن الذي تأتيهم به من عند الله ، ناسخه ومنسوخه ، لا يعلمون حقيقة صحته " .([١٠٥]).

وثالثا – إن سياق الآية التي بعد قوله تعالى : (وَإِذَا بَدَّلْنَا آَيَةً مَكَانَ آَيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (النحل: ١٠١) يدل على أن المقصود بها هو : الآية القرآنية قال تعالى : (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) (النحل: ١٠٣) . فسياق الآية ولحاقها في قوله تعالى : (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآَنَ

فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) (النحل : ٩٨) مرورا بالآية: -(وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ) وانتهاء بقوله سبحانه :-(وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ) فإننا نرى المتحدث عنه في أولها هو القرآن ، ووجوب الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم عند قراءته ، وبعد آية التبديل ، والآية التالية لها، نجد أن الآيات تحدثت فبينت دعواهم الباطلة : -أن الذي يعلم الرسول -صلى الله عليه وسلم- بشرٌ أعجمي اللسان ، والقرآن عربي مبين ، في قمة البلاغة والفصاحة ، فكيف يجوز في العقول صدوره عن أعجمي اللسان ..؟

ورابعا : إن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لم يكن يأتي بالآيات -بمعنى المعجزات- ثم يبدلها ، فيرفع معجزة ويحل معجزة محلها ، بل كانت سنة القرآن أن يغلق في وجوه السائلين باب الإجابة لتنزيل الآيات الكونية ، وقد ثبت هذا المعنى في كثير من الآيات بأساليب مختلفة ، منها قوله تعالى : (وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا) (الاسراء :٥٩).

من كل ما سلف يظهر لنا أن الدكتور محمد عابد الجابري وغيره من جوقة العلمانيين ، الذين نقلوا ما قاله الشيخ محمد عبده من غير تبصُّر ، فوقعوا في نفس الخطأ الذي وقع فيه .. **كما بينت هذه الدراسة** أن الجابري من أبرز الطاعنين في الإسلام . فقد استعمل أساليب متعددة في الطعن في كتاب الله تعالى، زاعما حمل لواء التجديد في التفسير والفَهم لكتاب الله تعالى، ومدعيا الوصول إلى مناهج جديدة في التفسير والتأويل لم يصل إليها أحد من قبله،

ناقما على مناهج المستشرقين، وفي حقيقة أمره لم يخرج عن منهج المستشرقين الطاعنين في كتاب الله تعالى قيد أنملة، وإنما يردد ما سمعه وتلقَّاه عنهم.. كما اتضح لي فقدان الجابري للمنهج العلمي، وتخبطه وتشتته خاصة في مجال الدراسات القرآنية ، التي لم يكن من أهل الذكر فيها ، فكان كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاحِ. وما ذلك إلا لأنه خاض في مجال وَلَجَهُ بجهلٍ واضح ، وأُمِّيةٍ فاضحة ، لأن الذي يتكلم في القرآن الكريم وعلومه ، ينبغي له أن يتوفر على مؤهلات لخوض هذا الغمار ، من إتقان لمجموعة من العلوم " و هي علوم أربَتْ على العشرين " ، وبعد التمكن منها ، كان يمكنه أن يقول شيئاً ذا بال ، لا مثل ما أفرزه من خبالٍ وَوَبال..

الخاتمة

بعد هذه الرحلة في تتبع بعض آراء الدكتور محمد عابد الجابري ، وقراءة بعض دعاويه الضالة المضلة ، تراكمت لدي قناعات كانت هي نتاج هذا البحث ، وتتمثل فيما يأتي:

أولاً: تبين لي من خلال الإعداد لهذا البحث كثرة الطاعنين في كتاب الله تعالى، وفي دينه ممن ينتسبون للإسلام في هذا العصر، مع اختلاف مشاربهم ومناهجهم ، وكان محمد عابد الجابري من أبرزهم ، وأشدهم تلبيسا وانحرافاً.

ثانياً: حاول الجابري ومن سار على منهجه استخدام أساليب متعددة في الطعن في كتاب الله تعالى، زاعمين حمل لواء التجديد في التفسير والفَهم

لكتاب الله تعالى، مدعين الوصول إلى مناهج جديدة في التفسير والتأويل لم يصل إليها أحد من قبلهم، ناقمين على مناهج المستشرقين، وفي حقيقة أمرهم لم يخرجوا عن منهج المستشرقين الطاعنين في كتاب الله تعالى قيد أنملة، وإنما يرددون ما سمعوه وتلقَّوه عنهم.

ثالثاً: إذا كان عداء المستشرقين واضحاً وجلياً في مواقفهم من الإسلام، فإن خطورة من سارَ على نهجهم من تلامذتهم ممن ينتسبون للإسلام كمحمد عابد الجابري ، ويزعمون مخالفة المستشرقين في مناهجهم ، أشد خطراً وأبعد أثراً.

رابعاً: : إن القرآن قد نزل بين أقوام فيهم اليهود ..والنصارى.. والصابئة ،والمجوس ، وفيهم أيضا من كل نِحلة وعقيدة من عقائد الشرق القديمة ، فخاطبهم القرآن جميعا ، وكان يورد معتقداتهم ليرد عليها ، ويكشف تحريفها ، أو تهافتها وبطلانها ، فكان بالموضع الذي يَشُدُّ إليه كل جماعة ، ويلفت نظر كل طائفة وكل مذهب وعقيدة ، فلم يكن من الممكن أن يثبت أمام كل هذه المذاهب والعقائد ،إلا بتواترٍ كاملٍ في نَصِّه ، إلى الحد الذي لا يستطيع أحد أن يأخذ عليه أيَّ مأخذٍ في هذا المجال. وهذا بحد ذاته يدل على أن(الجابري) وكل أيتام التغريب، لم يتعلموا ، ولم يتقنوا أكثر مما يتقن القرد ..!! .

خامسا : تبين لي من خلال ما عرضته أن النسخ كحقيقة عقلية أمر لا ينكر ، كما أنه قد وقع وتحقق بين الشرائع المتقدمة ، وبين شريعة الإسلام وما سبقها من الشرائع ، وأن مفهوم المتقدمين للنسخ كان أعم من مفهوم المتأخرين

إن مزاعم منكري النسخ من اليهود والنصارى لا ترقى إلى مستوى الأدلة التي تعضد دعوى النسخ ، وأن الغاية المبتغاة من إنكارهم للنسخ هي : إنكار ان تكون شريعة الإسلام ناسخة لما قبلها من الشرائع . لذلك يرجح الباحث جواز وقوع النسخ عقلا ووقوعه فعلا ، وكما تنسخ شريعة بأخرى ، يجوز أن تنسخ بعض أحكام الشريعة بأحكام أخرى من الشريعة نفسها .. فقد ثبت في السنة المطهرة أن المسلمين كانوا يتوجهون في صلاتهم إلى بيت المقدس ،بضعة عشر شهرا ، ثم نسخ ذلك ، فأمر الله المسلمين بالتوجه إلى بيته الحرام بمكة ، فاستقبال المسجد الحرام في الصلاة قد نسخ التوجه إلى المسجد الأقصى الذي كان ثابتا بالسنة ، وهذا يدل دلالة واضحة على وقوع النسخ في الشريعة الاسلامية ، ولا يستطيع مسلم إنكار وقوعه ، وبذلك يبطل رأي المنكرين للنسخ ، لمخالفته رأي الصحابة والتابعين ، وعلماء التفسير ، والكلام ، والفقه ، والأصول ، – رضي الله عنهم أجمعين – .

سادسا : لا يعبر العَلمانيون ، والحداثيون ، ومن يصفون أنفسهم بالعقلانيين ، عن مطامح الأمة ، ولا عن آمالها ، ولا يشعرون بآلامها بل هم مع كل المناوئين لها ، والهادمين لثوابتها ، والحريصين على إذلالها ، والمُصَدِّعين لبنيانها ، ولا يُنظَر إليهم اليوم إلا بعين المَقْت ، والريبة ، والحَذر .. وكل همهم التشكيك في كل ما يتعلق بالإسلام واللغة والقرآن..

هذه بعض أراء الجابري حول القرآن الكريم ، وقد تبين ما تحمله هذه الآراء

من بُعدٍ عن المنهج العلمي، وخروج عن الموضوعية، وجهل في كثير من الأحيان بعلوم الإسلام ومصادره، وغفلة عن طبيعة هذا الكتاب الكريم، وربانية مصدره، الذي تكفّل الله تعالى بحفظه.. يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

هوامش البحث :

---

[1]- مصطلح (العَلمانية) : مصطلح غربي الأصل ، والنشأة ، والمولد ، ظهر في منتصف القرن الماضي ، ويعني دنيوياً غير ديني ، ويقابله بالانكليزية : secular ، وبالفرنسية : secularise أو Laique، وهو كما ورد في معجم العلوم الاجتماعية : نسبة إلى (العَلم .. بمعنى : العالم) ، وهو خلاف الديني أو الكهنوتي ، وهذه تفرقة مسيحية لا وجود لها في الإسلام .. والعَلمانية- بفتح العين- هي الترجمة الصحيحة على غير قياس لكلمة secularismالإنجليزية أو secularit الفرنسية ، وهاتان الكلمتان لا صلة لهما بلفظ العلم ومشتقاته ، فالعلم في الإنجليزية والفرنسية يعبر عنه بكلمة science والمذهب العلمي نطلق عليه كلمة scientism والنسبة إلى العلم هي scientific أو scientifique في الفرنسية والترجمة الدقيقة للكلمة هي " العالمانية " أو " الدنيوية " أو " اللادينية " ..

أما العلمانية في الاصطلاح : فهي دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين، وتعنى في جانبها السياسي بالذات.. اللادينية في الحكم، وهى اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم ، والمذهب العلمي ((انظر: **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٣٦٧. ود. منى الشافعي، التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم ، عرض ونقد ، ص ٤٢-٥٤ ود. محمد أحمد**

الفاضل : الاتجاه العلماني في علوم القرآن : ١٥-٢٦ . وانظر الدكتور أحمد إدريس الطعان: العلمانيون والقرآن الكريم : ص ١١٩.). وخلاصة القول : إن العَلمانية اسم لمذهب فكري ، عقدي ، اجتماعي ، يهدف إلى حمل الناس على إبعاد الدين عن حياتهم ، وعزل الدِّين عن الحياة الاجتماعية للأفراد ، وعن شؤون الإدارة ، والتعليم ، والحكم.

[٢] – انظر : محمد عابد الجابري في مواطن كثيرة من كتابه " بنية العقل العربي " على سبيل المثال ص ٦١ – ٦٤ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٦٤ ، ٥٤٣ .

[٣] – **هذا بالضبط ما يقصده المستشرقون وتلاميذهم** من ترتيبهم للآيات حسب النزول . ليقوموا بقراءة النص قراءة تاريخية **أي :** تفسير النص القرآني وتحليله وفق معطيات التاريخ والواقع الذي كان سائداً عند نزوله. ومن ثم قصر دلالة النص وتطبيقه على ذلك الواقع ومعطياته، ولا يتعداه إلى المراحل التاريخية اللاحقة، وبذلك يفقد النص ديمومته وإطلاقيته. ويصبح قاصراً على مكان معين ، وأشخاص معينين. مما يفقد النص عمومه والزاميته أيضا . وممن حمل لواء هذه الدعوة كثير من العلمانيين المعاصرين – ، وكان الدكتور محمد عابد الجابري من أشد المتحمسين لها. " انظر: ابراهيم محمد طه – التأويل. . بين ضوابط الأصوليين وقراءات المعاصرين: دراسة أصولية فكرية معاصرة– ص ٢١١"

[٤] – الأخطاء التاريخية و المنهجية في مؤلفات محمد أركون و محمد عابد الجابري – دراسة نقدية للدكتور : خالد كبير عَلّال .

[٥] – الجابري ، التراث والحداثة ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط١، ١٩٩١م : ص٢٥٩-٢٦٠.

[٦] – د. جورج طرابيشي : مذبحة التراث ، دار الساقي للطباعة والنشر ، ١٩٩٣م : ص١١٨

[٧] – **قال الجابري في مقال له بجريدة الإتحاد الاماراتية** نشر يوم **لثلاثاء:٢٧. ١٢. ٢٠٠٥م :** وقد ذهب بعض الكتاب العرب المعاصرين – **ويقصد الكاتب الماركسي : خليل عبد الكريم** – إلى حد القول بأن هذه الفرقة هي التي **"حَضَّرَت"** لظهور محمد –عليه السلام –في صورة نبي..؟ بل اعتبر أن نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – كانت نتيجة تعاون خديجة – رضي الله عنها –

، وابن عمها (ورقة بن نوفل) على صناعة **(القادم المبارك)** حتى صار هو **(القادم المنتظر ؟!)** انظركتاب (فترة التكوين قي حياة الصادق الأمين): للماركسي المدلس خليل عبد الكريم ، ص ١١، و : ص ١٥١-١٦٨)

[٨]- قال مرعي الكرمي في كتابه **قلائد المرجان في الناسخ والمنسوخ من القرآن** ، تحقيق د. سامي عطا حسن ،ط٢ ، نشرته دار غراس ، الكويت ، ٢٠٠٨م (ص ١٧٣) : هذه الآية خاصة بالنجاشي ووفده الذين أسلموا لما قدموا على النبي – صلى الله عليه وسلم – وهم (اثنان وثلاثون ،أو أربعون ، أو سبعون ، أو ثمانون رجلا ، وليس المراد كل النصارى ، لأنهم في عداوتهم كاليهود . انظر الواحدي ، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري : أسباب النزول ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، ط١، ١٩٩٦م: ص ١٣٦ .. **وقال الطبري ومعظم المفسرين** : " إن هذه الآية والتي بعدها نزلت في نفر قِدموا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من نصارى الحبشة، فلما سمعوا القرآن أسلموا واتبعوا رسول الله– صلى الله عليه وسلم–. **وقيل**: إنها نزلت في النجاشي ملك الحبشة وأصحاب له أسلموا معه " جامع البيان ج٧:ص٢ . **ولم يرجح أيٌّ منهم ما رجحه الجابري .؟!**

[٩] – انظر : د. محمد أحمد الحوفي : لغويات جديدة ، ط دار المعارف، القاهرة ،بحث :" **كلمة الأريسيين** في كتاب النبي إلى هرقل ،ما الصواب في نطقها وفي معناها " ص : ٧٣-٨٣. وهو بحث ألقاه الحوفي في إحدى مؤتمرات مجمع اللغة العربية بالقاهرة . وعنه أخذ الجابري .!!؟

[١٠] – قال الجابري في هامش صفحة ٥٨ من كتابه : مدخل إلى القرآن الكريم: **تذكر المراجع الاسلامية من بين الحنفاء– ولم يذكر اسم مرجع منها – كعادته في التدليس والتمويه** – ثم أورد عدة أسماء منها : قس بن ساعدة ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وعدي بن زيد العبادي .! **وورقة بن نوفل القرشي ، قال الدكتور عبد الحليم محمود**(شيخ الأزهر الأسبق) : ولا نعدُّ ورقة بن نوفل حنيفياً ، بل هو نصراني ، تعلم العبرية وقرأ بها الأناجيل . وعابه **زيد بن عمرو بن نفيل** على ذلك فقال : " أنا استمر على نصرانيتي ، إلى أن يأتي النبي الذي تبشرنا به الأحبار " انظر كتابه : **التفكير الفلسفي في الاسلام** ، ص ٢٤. قال تعالى : (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ..) (آل عمران : ٦٧) **وليس بعد كلام الله كلام ...**

[١١]– مجمع نيقية "٣٢٥ م " : سمي مجمع نيقية بهذا الاسم نسبة الي المدينة التي عُقد فيها وهي العاصمة الثانية لولاية بيثينية وتقع في الشمال الغربي لآسيا الصغرى، وموضعها الآن "قرية اس التركية " .عقد المجمع بناء على تعليمات من الامبراطور قسطنطين الأول لدراسة الخلافات في

كنيسة الإسكندرية بين آريوس وأتباعه من جهه، وبين الكسندروس الأول (بابا الإسكندرية) وأتباعه من جهة أخرى ، حول طبيعة يسوع هل هي نفس طبيعة الرب أم طبيعة البشر.

أنكر آريوس أزلية يسوع فاعتقد بأنه كان هناك وقت لم يكن يسوع موجوداً فيه، بينما أكد (بابا الإسكندرية) علي أن طبيعة المسيح هي من نفس طبيعة الله، وتغلب رأي (بابا الإسكندرية) بالاقتراع ورفض آريوس وأثنين من القساوسة باصرار التوقيع من ثم تم نفيهم الى اليرا (حاليا البلقان) وحرقت كتب آريوس ، وسمي مذهبة ببدعة آريوس، وَ وُصم أتباعة الي اليوم بلقب أعداء المسيحيه.

[١٢]– انظر : السيرة الحلبية – إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون– علي بن برهان الدين الحلبي ،دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الثانية – ١٤٢٧هـ : ج٣: ص ٢٨٣. أحمد بن علي القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الانشا ، دار الكتب المصرية : ج٦: ص ٣٧٧.

[١٣]– انظر : صحيح مسلم ،مسلم بن الحجاج النيسابوري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،دار إحياء الكتب العربية ، ط١، ١٣٧٥هـ: حديث رقم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي ..

[١٤]– انظر : د. غازي التوبة : قراءة في كتاب "مدخل إلى القرآن الكريم" للدكتور الجابري. موقع : الأمة الاسلامية للدراسات والبحوث . بتصرف واختصار

[١٥] – انظر : الجابري " وجهة نظر : ص٥٧– ٦٠ . وانظر : حسين أحمد أمين " دليل المسلم الحزين " ص ١: ١٤٦ ، والعشماوي " أصول الشريعة : ص ١٢٢ ، ١٢٤، و حاج حمد " العالمية الثانية " ص ٢٤٩ .

[١٦] – **وهي نفس المبررات التي جَحَدَ بها المرتدون الزكاة** ، وكانت هذه الفئة أول من أحدث بدعة التأويل المنحرف، ذلك أنهم تأولوا قول الله تعالى **(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا .... الآية)** (التوبة: ١٠٣.) **فرأوا أن دفع الزكاة خاص بالرسول** – صلى الله عليه وسلم– **لأنه هو الذي كان يصلي عليهم ويطهرهم، وليس لغيره هذه الخاصِيَّة، ومن ثَمَّ فلا يدفعون الزكاة لغيره**

..؟ [انظر فتح الباري ٢٣٣/١٢ وانظر شرح السنة للإمام البغوي ٤٧٢/٥، ٤٨٨] ، وبذلك كانوا الفاتحين لِبابِ تأويل النصوص القرآنية تأويلا منحرفا ، للتخلص من التكاليف الشرعية، وبدءوا بما هو راجع إلى الناحية **الاقتصادية، أما من جاء بعدهم من السبئيين،** فقد أوَّلوا نصوص **العبادات وغيرها لرفض جميع التكاليف،** ونلحظ ذلك في تفسير قتادة (ت ١١٧هـ) لقوله تعالى (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ)(آل عمران: ٧)، فقال: **(إن لم يكونوا الحرورية ،والسبئية فلا أدري من هم)**(تفسير جامع البيان ١١٩/٣.).

[١٧] – قال ابن كثير: (ادرأوا الحدود بالشبهات) : لم أر هذا الحديث بهذا اللفظ , .وأقرب شيء إليه ما رواه الترمذي عن عائشة قالت : قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم : (ادرأوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن كان له مخرج فخلوا سبيله فإن الامام أن يخطىء في العفو خير من أن يخطيء في العقوبة) قال : وروي موقوفا وهو أصح. تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب– عماد الدين، أبو الفداء، ابن كثير القرشي، تحقيق: عبد الغني الكبيسي :دار حراء – مكة المكرمة، ط، ١ ، ١٩٩٥: ج ١ : ١١٨، ٢٢٦.

[١٨] – انظر الجابري : وجهة نظر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ٢٠٠٤م : ص ٦٨–٧٢.

[١٩] – انظر : د. عبد الرحمن بدوي ، دفاع عن القرآن ، ١٥–١٦

[٢٠]– بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ط٢، دار المعرفة ، بيروت : ج٢٥٦/١ .

[٢١] – رواه البخاري في صحيحه كتاب تفسير القرآن بَاب (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا) (٤٨/٨) حديث رقم : ٤٥٣٦.

[٢٢]– فتح الباري ج٨ /١٢٥ .

[٢٣] – الزركشي : البرها ن في علوم القرآن ، ج٢٤١/١ ، وانظر فتح الباري ج١٨/٩ .

[٢٤]– فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الافتاء ، السعودية : ج٣٢/٩

[٢٥] – تاريخ القرآن وغرائب رسمه ، محمد طاهر الكردي ، ط٢ ، ١٩٥٣م ، البابي الحلبي : ص٥٩

[٢٦]– جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ط٣، مكتبة دار التراث ، القاهرة : ج١/١٨ .

[٢٧] – جلال الدين السيوطي : الاتقان في علوم القرآن : ج١/ص ١٦٦..

[٢٨] – هذا بالضبط ما يقصده المستشرقون وتلاميذهم من ترتيبهم للآيات حسب النزول . ليقوموا بقراءة النص قراءة تاريخية ، **أي** : تفسير النص القرآني وتحليله وفق معطيات التاريخ والواقع الذي كان سائداً عند نزوله. فيحللوا النص ، ويبينوا دوافعه ، وحكمته ، ودلالاته، بدراسة الواقع ، والبيئة ، والعادات ، والتقاليد التي كانت سائدة. ومن ثم قصر دلالة النص وتطبيقه على ذلك الواقع ومعطياته، ولا يتعداه إلى المراحل التاريخية اللاحقة، وبذلك يفقد النص ديمومته وإطلاقيته.ويصبح قاصراً على مكان معين ، وأشخاص معينين. مما يفقد النص إلزاميته أيضا . وممن حمل لواء هذه الدعوة كثير من العلمانيين المعاصرين – ، وكان الدكتور محمد عابد الجابري من أشد المتحمسين لها. " انظر: ابراهيم محمد طه بويداين– التأويل..بين ضوابط الأصوليين وقراءات المعاصرين:دراسة أصولية فكرية معاصرة، رسالة ماجستير غير مطبوعة ، نوقشت في جامعة القدس ، ٢٠٠١م : ص ٢١١"

[٢٩]– **انظر** : المجتمع المثالي كما تنظمه سورة النساء ، ص ٢٠ :الشيخ محمد محمد المدني .حصل على الثانوية الأزهرية في شهر ١٩٢٧/٤م ، وفي شهر ١٩٢٧/١٠م حصل على العالمية (الدكتوراة) وكل دراسته الجامعية أقل من سنة دراسية . ؟؟

[٣٠]– الزركشي: البرهان في علوم القرآن ، ج١/ ص٢٥٨–٢٥٩ .

[٣١]– شرح النووي على صحيح مسلم ج١/ ص٦١–٦٢ . ونيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق طه سعد ، وزميله ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٢٩٨هـ : ج٢/ ص٢٣٧ .

[٣٢]– الإتقان ج١/ ص٦٢ .

[٣٣]– الإتقان ج١/ ٦٣ .

[٣٤]- انظر : مقدمة روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبو الفضل محمود الألوسي، دار إحياء التراث ، بيروت : ج١/ ص٢٧

[٣٥]- مقدمتان في علوم القرآن ، لابن عطية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٣٩٢هـ: ص٢٥٦ .

[٣٦]- الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني ، أحمد عبد الرحمن البنا ، دار إحياء التراث العربي ،١٣٩٦هـ: ج٢٨/ ص١٥٤-١٥٥ وانظر الإتقان ج١/ ص٦٢ .

[٣٧]- فتح الباري ج١٠/ ٤١٨ .

[٣٨]- تناسق الدرر في تناسب السور ، جلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت : ص ٤٨ .

[٣٩] - تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، محمد عبد الرحمن المباركفوري ، ط٢ ، ١٣٨٣هـ: ج٨/ ص٤٨٠ .

[٤٠]- ميزان الاعتدال : محمد بن أحمد بن عثمان : تحقيق علي البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، ط١ ، ١٣٨٢هـ ج٢/ ص٣٠٨-٣٠٩ .

[٤١]- صحيح مسلم ج١/ ص٥٤ .

[٤٢] - الفتح الرباني ج١٨/ ص١٥٤-١٥٦ .

[٤٣]- ميزان الاعتدال،: ج٣/٣٠٨ .

[٤٤] - منهج الفرقان في علوم القرآن ، محمد علي سلامة ، القاهرة : ص ١٣٦ .

[٤٥]- تفسير القرآن الحكيم ، الشهير بتفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، ط٢، دار المنار ، القاهرة : ج٩/ ص٥٨٥ .

[٤٦] - فتح الباري ج١٠/ ص٤١٠ .

[٤٧] - لطائف الإشارات لفنون القراءات ، شهاب الدين القسطلاني ، تحقيق عامر السيد ، لجنة إحياء التراث الاسلامي ، القاهرة : ج٣/ ص٥ .

[٤٨]- البرهان ج١/ص٢٧٠ .

[٤٩]- مقدمة تفسير الألوسي ج١/ ص٢٧ .

[٥٠]– الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد القرطبي دار الكتب العلمية ، بيروت : ج١/ ص٥٩– ٦٠ .

[٥١]–انظر : الإتقان ، مكتبة دار التراث : ج١/ ص١٧٩ .

[٥٢]– تفسير القرطبي ج١/ ص٦٠ . وانظر : محمد بن محمد أبو شهبة : المدخل لدراسة القرآن الكريم ، ص ٢٨٥–٢٩٧.ومحمد عبد العظيم الزرقاني : مناهل العرفان في علوم القرآن، ج١: ص ٣٣٩–٣٥٣. ود. أحمد السيد الكومي وزميله : فصل الخطاب في سلامة القرآن الكريم ، ط٢، البابي الحلبي ، القاهرة ص ١٩–٢٨. ومحمد طاهر بن عبد القادر الكردي : تاريخ القرآن ، ص ٧١–٧٩.

[٥٣] انظر: دراسات في علوم القرآن د . فهد الرومي –ط٥–مكتبة التوبة، ١٢٤ الرياض : –١٢٥. وانظر : د. محمد بن محمد أبو شهبة : المدخل لدراسة القرآن الكريم ،ط١، مكتبة السنة بالقاهرة ، ١٩٩٢م: ص : ٢٩٧. وأ.د. فضل حسن عباس : إتقان البرهان في علوم القرآن ، ط١، ١٩٩٧م ، دار الفرقان : ج١: ص٤٢٩–٤٣٧.

[٥٤] – **الاستشراق** : هو علم الشرق ، أو علم العالم الشرقي ، وقد أطلق هذا المصطلح على كل الدراسات الغربية المتعلقة بالشرق الاسلامي في : لغاته ، وآدابه ، وتاريخه ، وتشريعاته ، وحضارته بوجه عام . " انظر الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، د. محمود حمدي زقزوق . ص ١٨ . مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، ١٩٧٥م. "

[٥٥] – The Masseg of The Qur,an , by Muhammad Asad , Darul Andalus Gibraltar , 1980.pp. 1–11

[٥٦] – ر. **ل . بلاشير** : مستشرق فرنسي ولد في " مون روج " بالقرب من باريس ، تلقى دروسه الثانوية في الدار البيضاء ، وتخرج في كلية الآداب بالجزائر سنة ١٩٢٢م. ونال الدكتوراة سنة ١٩٣٦م ، وعين محاضرا في السوربون سنة ١٩٣٨م . توفي عام ١٩٧٣م انظر : المستشرقون للعقيقي : ج١: ٣٠٩–٣١٢.

[٥٧] – القرآن ، نزوله ، تدوينه ، ترجمته وتأثيره ، لبلاشير : ص ٣٨.

[٥٨] – **ج. أ . ر . جيب** : من أعلام المستشرقين ، وخليفة مرجليوث في أكسفورد ، من عام ١٩٣٧م إلى عام ١٩٥٥م، وعين مديرا لمركز دراسات الشرق الأوسط سنة ١٩٦٢م ، ولد في الاسكندرية بمصر سنة ١٨٩٥م، وتوفي سنة ١٩٧١م . انظر المستشرقون ، نجيب العقيقي ، ط٤ ، ١٩٨٠ ، دار المعارف ، القاهرة : ج٢: ١٢٩–١٣٢.

[٥٩] – بتصرف : Islam, A Historical Survey, by H.A.R.Gibb , P 24. . وقوله : إن السور القرآنية رتبت حسب الطول ، زعم كاذب ، فهناك سور أقصر من السورة التي بعدها على الترتيب المصحفي ، ومن ثم فإن السور القرآنية كلها رتبت بحسب الحكمة الإلهية

[٦٠] – **تيودور نولديكة** : مستشرق ألماني ، ولد في هامبورغ سنة ١٨٣٦م ، تعلم عدة لغات ، ونال الدكتوراة سنة ١٨٥٦م، توفيسنة ١٩٣٠م . انظر : المستشرقون للعقيقي : ج٢: ٣٧٩-٣٨٢.

[٦١] – **فريدريش شفالي** : مستشرق ألماني ولد سنة ١٨٣٦م ، تخرج باللغات الشرقية على نولديكة ، توفي عام : ١٩١٩م . انظر : المستشرقون ، للعقيقي :٢: ٤١٠.

[٦٢]– انظر: مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب: محمد البشير المغلي ط١، الرياض : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلاميه2002 م : ص٢٥٠.

[٦٣] – **هيرتوج هيرشفيلد:** ولد سنة ١٨٥٤م ، ومن آثاره : بحوث جديدة في نرتيب القرآن وتفسيره ، توفي سنة ١٨٣٤م . انظر : المستشرقون ، للعقيقي :ج ٢: ص ٤٠٠.

[٦٤] – **ريتشارد بل** : من رجال الدين ، وأستاذ اللغة العربية بجامعة أدنبرة ، وقد أكد في أول كتابه عن القرآن ، أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد اعتمد في كتابه على أسفار العهد القديم . انظر : المستشرقون للعقيقي ، ج٢: ص ٩٣-٩٤.

[٦٥] – انظر : د. عمر بن إبر اهيم رضوان ، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره – دراسة ونقد –: ص ٤٩٤-٥٠٢ ،

[٦٦] – أشار أيضا إلى هذا المنهج في تفسير القرآن في كتابه مدخل إلى القرآن الكريم، الجزء الأول، مركز دراسات الوحدة، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م، ص ٢٨ – ٢٩.

[٦٧] – **انظر مقال الاستاذ عبدالرحمن الحاج، الموسوم بـ :** الجابري وإعادة "فهم القرآن الحكيم" **منشور بصحيفة "الحياة" في ٥ يونيو ٢٠١٠. وما قاله الكاتب ، يشبه تماما ما قاله الأديب الكبير محمود محمد شاكر عن كتاب : طه حسين " في الشعر الجاهلي " : حيث قال :** " كل ما قاله الدكتور طه حسين مجرد سطو على مقالة مرجليوث " أصول الشعر العربي "، وكتاب طه حسين" في الشعر الجاهلي" لا يزيد على أن يكون حاشية وتعليقاً على هذه المقالة : انظر : محمود محمد شاكر ، " المتنبي ، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا " ص ١٤ ، . حتى وُسِمَ تهكماً

بأنه : (حاشية طه حسين على متن مرجليوث) انظر : أنور الجندي : محاكمة فكر طه حسين : مراجعة كاملة لمؤلفات وكتابات طه حسين خلال خمسين عاماً : ص ١٦٦ .

[٦٨] – انظر أ.د. فضل حسن عباس : قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية ، دار البشير ، عمان: ص ٣٧–٣٨.

[٦٩] – انظر : محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان ، ط٣ ، دار إحياء الكتب العربية ، البابي الحلبي ، القاهرة : ج٢: ص ٣٤٠–٣٤١.

[٧٠] – شرح الشفا للقاضي عياض ، علي القاري ، تحقيق عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠١م . ، ج١:ص ٢٥٨.

[٧١] – سورة الأعراف : ١٥٧، ١٥٨.

[٧٢] – البقرة : ٧٨ ، آل عمران : ٢٠، وَ٧٥، الجمعة : ٢ .

[٧٣] – القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ، ج٣ : ص ٢٧٣٥. والتفسير من مباحث علوم القرآن ..

[٧٤] – فخر الدين محمد بن عمر الرازي : التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) دار الكتب العلمية ، بيروت : ج١٥، ص ٢٢.

[٧٥] – الطبري ، جامع البيان : ١: ٢٩٦ .

[٧٦] – انظر : لسان العرب لابن منظور ، محمد بن مكرم ، دار صادر ، بيروت ، والقاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، ط٢، الحلبي بالقاهرة : : مادة (أم)

[٧٧] – معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة : ج١: ص ٥٣.

[٧٨] – متفق عليه ، البخاري في الصوم رقم (٣٠٧) . ومسلم في الصيام : (٤٤١) .

[٧٩] – انظر : مسلم في الايمان ، حب الأنصار وعلي ، وانظر شرح النووي : ٢ : ٦٣.

[٨٠] – يقول **الصادق النيهوم:** " وهي – أي الأمية – فكرة ولدت أساسا لتفسير قوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأميّ ..) (الأعراف : ١٥٧) لكن هذا التفسير نفسه، هو مجرد خطأ ناجم عن سوء التفسير ، فكلمة (أمي) لا تعني (غير متعلم) إلا في قاموس رجل جاهلٍ حقاً ...ثم يقول : فالأمي في لغة التوراة ، ليس هو غير المتعلم بل هو غير اليهودي الذي استبعده الرب من الشعب المختار." في كتابه: (إسلام ضد الإسلام : ص ٢٣–٢٤.) . وادعاه أيضا الكاتب التونسي : **هشام جعيط** في كتابه: (الوحي والقرآن والنبوة، ص : ٣٥، ٤٢، ٤٦.) ، متكئا فيه على أقوال:

الأب لامنس ، ومونتغمري وات ، وادعاه المهندس **السوري محمد شحرور** (الكتاب والقرآن ، ص ١٣٩-١٤٣ .) ، وقال به كذلك الكاتب السوري العلماني " **طيب تيزيني**" في كتابه: (النص القرآني ص ٢٩٥ .).. **والمؤرخ العراقي جواد علي** في كتابه : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. (انظر: www.islamprt.com)

[٨١] – انظر : مدخل إلى القرآن الكريم : ص ٧٧-٩٨

[٨٢] – انظر : مدخل إلى القرآن الكريم : ص ٩٤. **ومحمد – صلى الله عليه وسلم – لم يسم نفسه أميا ، ولم يسم أمته أميين ، وإنما هي تسمية الله بلغها رسول الله – صلى الله عليه و سلم- . ثم إن الأمية بمعنى الوثنية مصطلح لليهود ، ولا يفسر كلام الله باصطلاح اليهود ، وإنما يفسر بلغة العرب التي نزل بها القرآن** ، ومن معاني الأمية في لغة العرب : الجهل بالكتابة . قال أبو زيد (أبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الخزرجي الأنصاري (تـــ٢١٥ هـ) –لغوي من أئمة الأدب) : الأميّ من الرجال ، العيي ، القليل الكلام ، وأنشد :

ولا أعود بعدها كريّا – أمارس الكهلة والصبيا .

والعَرَبَ المُنَفَّهَ الأميّا .

والكريّ : الأجير . والمنفه : العَيي . وقيل له أمي : لأنه على ما ولدته أمه من قلة الكلام وعجمة اللسان . انظر : د. أحمد محمد الحوفي : لغويات جديدة : ص ٢١ . وانظر : غريب الحديث : عبد الله بن مسلم بن قتيبة : ١: ٣٨٤. ومعجم مقاييس اللغة ، لابن فارس : ١: ٢٨ . والفائق في غريب الحديث ، محمود بن عمر الزمخشري ،تحقيق علي البجاوي : ١/٤٢-٤٣. والنهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير المبارك بن محمد الجزري ،: ١/ ٦٨. وتحقيق المذهب ، لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي ، تحقيق أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري ،: ص ٣٧.

[٨٣] – انظر مادة (أمي – وأمة) وتعليق أحمد محمد شاكر عليها ، في دائرة المعارف الاسلامية ، ترجمة محمد الفندي وآخرون ، دار المعرفة ، بيروت : مجلد٤: ص ٤١٤، ٤٢٦.

[٨٤] – العقاد ، الإسلاميات ، دار الكتاب اللبنانب ، بيروت : ٢ ص ٢٠٠.

[٨٥] – انظر : مقدمة بلاشير ، ص ٨. [مع ورود كلمة (أمة) في القرآن في أربع وأربعين موضعاً بمعنى الجماعة ، وجاءت في موضعين بمعنى الحين (هود ٨ ، ويوسف ٤٥) وفي موضعين بمعنى الدين (الزخرف:٢٢،٢٣) وجاءت مرة واحدة بمعنى (القدوة) (النحل: ١٢٠) .] انظر معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مادة أمة . لاحظ ما قاله الجابري في (كتابه (مدخل إلى القرآن ..صفحة ٨٣): (والواقع أن لفظ (أمي) لفظ معرب ، لا أصل له في اللغة العربية ..؟!) . وبمثل

ذلك قال الكاتب الليبي الصادق النيهوم ، إذ قال : إن كلمة (أمي) مصطلح توراتي مشتق من كلمة (أوم ت ي ا) بمعنى (أممي) أي : غير تابع لأهل الكتاب . انظر كتابه: إسلام ضد الاسلام ص ٢٣-٢٤.

[٨٦]- الجابري : مدخل إلى القرآن الكريم ، ص: ٨٥ .

[٨٧]- سيرة ابن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، ط القاهرة ،ج١ ص: ١٨٠ ، ١٨٧ . و ابن حزم : الفصل في الملل و الأهواء و النحل ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ج١ ص: ١٨٣ . وتقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية : مجموع الفتاوى ، جمع عبد الرحمن النجدي وولده ،١٣٩٨هـ : ج ٢ ص: ٧٢ .

[٨٨] – انظر : لسان العرب مجلد١:ص ١٠٥ ، والقاموس المحيط : ج ٤ : ص ١٠٥ .

[٨٩] – انظر دائرة المعارف الاسلامية : مادتي : أمة ، وأمي ..

[٩٠] – حققها أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري ، ونشرها عام ١٩٨٣م ، عالم الكتب ، بالرياض ، وفي آخرها أجوبة العلماء بين مؤيد ومعارض ، حول دعوى كتابة الرسول – صلى الله عليه وسلم – لاسمه يوم صلح الحديبية ..

[٩١] – انظر : التراتيب الإدارية ، عبد الحي الكتاني ، ط الشركة العامة ، : ص ١٧٣.

[٩٢] – انظر : تذكرة الحفاظ ، لأبي عبد الله شمس الدين الذهبي ، دار إحياء التراث العربي : ج٢: ص ١٧٢.

[٩٣] – انظر : د. أحمد محمد الحوفي ، لغويات جديدة ،ط دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٤م ، ص ٧٣. وعنه أخذ الجابري . كما أخذ عنه ما ذكره عن (الأريسيين).

[٩٤] – انظر : مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية ، الرباط ، عدد١ ، سنة ١٩٧٧م .

[٩٥] – علي شواخ إسحق : ماذا حول أمية الرسول ، ط ١ ، ١٩٧٨م ، دار السلام ، حلب .

[٩٦] – د. قحطان الدوري ، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية ، الجزائر ، عدد/ ٥ ، ١٩٩٤م .

[٩٧] – د. لخضر شايب ، هل كان محمد أميا : ط١ / ٢٠٠٣م .دار قتيبة ، دمشق .

[٩٨] – أحمد شحلان : مفهوم الأمية في القرآن ، مجلة كلية الآداب ، الرباط ، عدد١، ١٩٧٧م . ص ١٢٢.

[٩٩] – انظر : د. محمد عبد الله دراز : مدخل إلى القرآن الكريم ، ص ١٤١(الهامش) .

[١٠٠] – الطبري : جامع البيان : ج١/ص١٨٨

[١٠١] – ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج١/ص١٤٩

[١٠٢] – انظر : منبر الدكتور محمد عابد الجابري الإليكتروني ، تحت عنوان : (لا دليل في القرآن على وقوع النسخ فيه)

[١٠٣] – الدكتور فضل حسن عباس : إتقان البرهان ، ج٢: ص ٢٢-٢٦

[١٠٤] – انظر مقال الدكتور الجابري في موقعه الإليكتروني تحت عنوان : (لا دليل في القرآن على وقوع النسخ فيه)

[١٠٥] – الطبري : جامع البيان – ج١/١٨٨.